

قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى

عبد الله بن محمد الجوعي

دار الوطن للنشر

قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى

الطبعة الأولى

٢٢٧,١

٩٥٨ج الجوعي، عبدالله بن محمد

قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى/

عبدالله بن محمد الجوعي. ـ ط١ ـ الرياض:

دار الوطن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

... ص؛ سم

ردمك ١ ـ ١٢ ـ ٦٩٠ ـ ٩٩٦٠

١. القرآن ـ مناهج التفسير ٢. القرآن ـ أحكام

٣. القرآن ـ مباحث عامة أ. العنوان

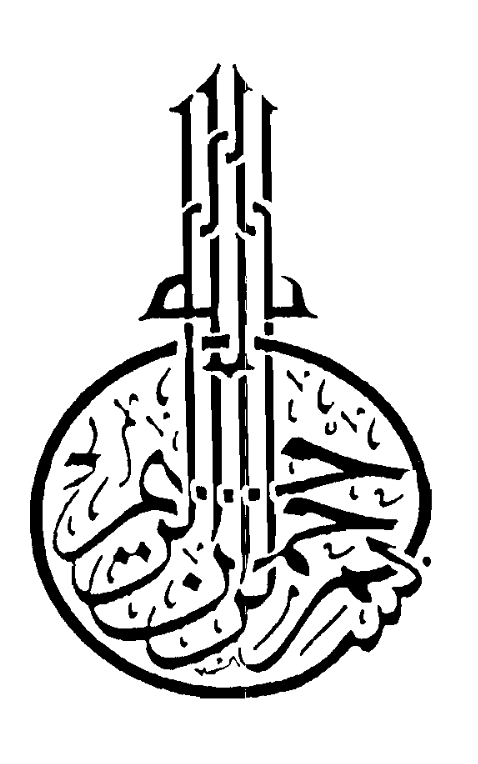
رقم الإيداع ١٤/٠٤٤٧

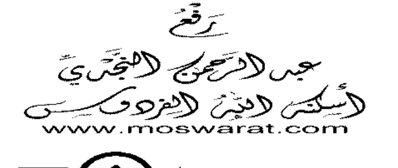
ردمك ١ ـ ١٢ ـ ٦٩٠ ـ ٩٩٦٠

قواعد وفوائد
لفقه كتاب الله تعالى

عبد الله بن محمد الجوعي

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص. ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨





بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل

الحمد لله القائل ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾[سورة ص، الآية: ٢٩] وصلى الله وسلم وبارك على البشير النذير والسراج المنير، بعثه الله على حين فترة من الرسل وأنزل إليه الكتاب آية باقية إلى قيام الساعة. **وبعد،**

فقد نقل الزركشي عن بعض العلماء قوله: «العلوم ثلاثة علم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث وعلم نضج ولا احترق وهو علم النحو والأصول وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير»(١).

والمتأمل في علم التفسير والدراسات القرآنية يرى مصداقية هذا القول وأن هذا العلم لم يزل غضًّا طريًّا لا مناسبة بين ما بُذل فيه من جهود الأئمة ومآثر المفسرين وبين ماهو مطلوب ومفترض، كيف لا وهذا العلم يبحث في كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا وحكم ما بيننا، وهو الكلام الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وكل ما قال القائلون حيال هذا الكتاب العظيم

---

(١) الأشباه والنظائر في النحو (١/ ٩).

كما قال القائل: «كحبة رمل في جنب رمل عالج، ونقطة قطر إزاء بحر زاخر».

وقد لحظ بعض أهل العلم هذا العزوف في الغابر والحاضر، **قال السيوطي ـ رحمه الله ـ:** «ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابًا في أنواع علوم القرآن كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث»(١).

وندم بعضهم على أن لم يكن أمضىٰ عامة عمرة في التفسير كما نقل ذلك عن شيخ الإسلام وغيره.

وإن كان ثمة عذر للمتقدمين والمتأخرين فإنه عدم الجراءة على القطع بمراد الله من كلامه والتوقيع عنه في أحكامه وأن هذا الحمىٰ لا يتسنىٰ اقتحامه إلا لمن حصَّن نفسه بعلوم جمّة، أوصلها بعض المفسرين إلى خمسة عشر علمًا ذكرت في مظانها.

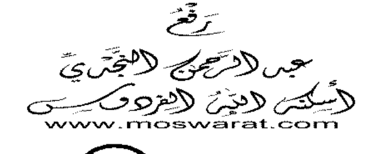
وإن المأمول ممن أوتي علم التأويل وملكة الاستنباط أن يكرس جهوده ويفني عمره في تقييد ما فتح الله عليه من عقل وفهم كلام الله الواحد القهار فإنه من أحسن ما أفنيت فيه الأعمار وخير ما قضيت فيه ساعات الليل والنهار. فـ:

العلم صيد والكتابة قيده ... قيِّد صيودَك بالحبال الواثقة

أمن الكياسة أن تصيد غزالة ... مع تركها بين الخلائق طالقه؟

---

(١) الإتقان ص(٤).



مقدمة

الحمد لله وأصلي وأسلم على عبده ورسوله محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته ومن والاه . **وبعد،**

فيا أخي القارىء الكريم : أنثر بين يديك هذه الفوائد لا ينتظمها سلك غير أنها تصبّ في بحر التفسير والتأويل وتنبع من تحري مراد الله من كلامه في آي التنزيل، كتبها الأئمة الأعلام وشيوخ الإسلام في تفاسيرهم المعتمدة وتصانيفهم السائرة ولم يكن لي فيها من شأن سوى الجمع والصياغة خلا ما دوّنته في «سادسًا» . . فهو من إنشائي برمته. وأما ما جاء في «ثانيًا» فقد استقرأت ما فيه من القواعد وصغتها، وكتبت أمثلتها من المراجع المدونة في قائمة المراجع وهي قواعد غالبة في جملتها وليست مطردة في كل حال. **وهاهنا بعض التنبيهات :**

* كثير من اللطائف إن هي إلا التماسات يظن كاتبوها أنها من مراد الله تعالى ولا يقطعون بذلك .
* بعض المراجع المذكورة في هذه الرسالة ليست من كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة غير أني ربما التقطت منها فوائد لا مساس لها بتوجه أصحابها أو معتقدهم .

* ذكرت ـ إتمامًا للفائدة ـ فوائد في الاعتقاد وفي التجويد وفوائد لفظية ونحو ذلك.
* نظرًا لسهولة الرجوع إلى كتب التفسير لأن ترتيبها هو ترتيب القرآن الكريم فإني أذكر المرجع مجردًا من رقم الجزء والصفحة وذلك في بعض الفوائد.
* كثير من الفوائد لم أعزها وذلك لأنها مما علق في الذهن مما قرأته أو سمعته من بعض العلماء فيتعذر عزوه.
* أرجو ممن قرأ أو استفاد من هذه الرسالة أن يدعو لجامعها فهو بحاجة إلى ذلك، كما أرجو أن يغتفر ما يرىٰ من زلات.

وبالله التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبه: **عبدالله بن محمد الجوعي**
١٩/ ٢/ ١٤١٤هـ
ص.ب: ٣٢٥٩٤ الرياض ١١٤٣٨

أولا: من أصول التفسير

الحمد لله القائل: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾ [سورة محمد، الآية: ٢٤] . وصلى الله وسلم على نبيه محمد خير من فهم القرآن الكريم وعمل بمقتضاه. **وبعد،**

فإن العلم يشرف ويعظم بحسب عظم وشرف قائله ومعنىٰ ذلك أن تدبر القرآن ومحاولة فهمه والكشف عن أسراره واستنباط أحكامه أجل العلوم وأزكاها وأبركها. . فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله ﷺ المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورة منه، وكما أن تلاوته عبادة فإن تدبره وتفهم مراد الله تعالى منه قربة يتقرب بها العبد إلى ربه فالتدبر هو المقصود من إنزال القرآن كما في صريح آياته. . **قال شيخ الإسلام** «فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟» . ثم تأتي بعد ذلك مرحلة العمل الذي هو مناط سعادة العبد إذا كان خالصًا صوابًا. . قال الله تعالى: ﴿الذي خلقَ الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [سورة الملك، الآية: ٢]. **قال الفضيل بن عياض رحمه الله**: «أي أخلصه وأصوبه» . وقد صنف بعض علمائنا في «اقتضاء العلم العمل» . وبينوا أن العمل ثمرة للعلم، وأن العلم من غير

عمل حجة على صاحبه:

لو كان في العلم من دون التقى شرف
لكان أشرف خلق الله إبليسُ

قال بعض الصحابة: «كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن». وورد أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مكث ثماني سنين في تعلم وحفظ سورة البقرة.

وفي الأسطر القليلة القادمة إلقاء للضوء على شيء من أصول التفسير التي لا يستقيم تفسير القرآن بدونها وهي في عامتها اقتطافات من كلام شيخ الإسلام المبثوث في كتبه رحمه الله وإليك جزءًا منها:

١ يجب أن يعرف المفسر رجال التفسير ومبلغهم من العلم في كتاب الله تعالى، فأعلم الصحابة بالتفسير ابن عباس رضي الله عنهما وذلك ببركة دعاء المصطفى ﷺ له، **قال الأعمش:** خطب ابن عباس في الموسم بسورة البقرة ـ وفي رواية ـ بسورة النور، ففسرها تفسيراً لو سَمِعَتْه الرومُ والترك والديلم لأسلموا. وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الرجوع إلى شعر الجاهلية في تفسير غريب القرآن، وقد حصل له محاورة مع نافع بن الأزرق ـ ذكرها السيوطي في الإتقان ـ وفيها: «قال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم

له به ـ وكان ابن عباس جالسًا في فناء الكعبة ـ فقالا له: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عن اليمين وعن الشمالِ عزين﴾ [سورة المعارج، الآية: ٣٧] . قال: العزون: حلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

فجاؤوا يهرعون إليه حتى
يكونوا حول منبره عزينا

قال أخبرني عن قوله: ﴿**وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٥] قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة يقول:

إن الرجال لهم إليكِ وسيلة
إن يأخذوك تكحلي وتخضبي

واستمر يسأله عن أكثر من مائة وخمسين كلمة، وفي كل كلمة يفسرها ابن عباس يأتي بشاهدها من أشعار العرب وهذا يدل على سعة علمه رضي الله عنه بكلام العرب.

قال ابن عباس رضي الله عنه: التفسير على أربعة أوجه، وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله.

وأما أعلم التابعين بالتفسير فمجاهد بن جبر، رحمه الله، **قال سفيان الثوري رحمه الله**: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، **وقال مجاهد**: عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها.

وذكر شيخ الإسلام أن مجاهدًا كان آية في التفسير. وأعلم الناس في التفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء وعكرمة وطاووس وسعيد بن جبير، أما المغازي فأهل المدينة أعلم الناس بها ثم أهل الشام ثم أهل العراق. ومعرفة مثل هذا معينة على قبول أخبارهم.

[٢] الخلاف في الأحكام أكثر من الخلاف في التفسير وعامة ما يصحّ من الخلاف فيه يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. كمن فسر (الصراط المستقيم) بالقرآن والإسلام والحق وغير ذلك من الألفاظ التي يستوعبها لفظ (الصراط المستقيم)، وقد يفسر العام ببعض أفراده كتفسير السابق بالخيرات: بالذي يصلي في أول الوقت، والمقتصد: الذي يدرك الصلاة والظالم لنفسه: الذي يؤخرها.

وقد تفسر بعض الكلمات بما يقاربها لا بما يرادفها لأن الترادف في اللغة قليل ومن أهل اللغة من منعه كمن فسر «المور» بالحركة والميدان بالحركة فهذا تقريب وإلا فالمور حركة سريعة

والميدان حركة مضطربة. وكمن فسر «لاريب» بأنها لا شك فإنه تقريب وليس ترادفًا ونظائر ذلك كثيرة.

وهذا يشبه تفسير الآية بسبب نزولها، فإنها تتناول كل حالة شبيهة بالسبب الأصلي وهذا باتفاق أهل العلم.

وأما الاختلاف في سبب النزول فقد يكون عائدًا إلى أن الآية نزلت مرتين في حادثتين مختلفتين، وقد تكون الحادثتان وقعتا في وقت واحد فنزلت الآية على إثرهما.

٣ الاختلاف في التفسير على نوعين:

١ ـ ما مستنده النقل فقط.

٢ ـ ما مستنده الاستدلال.

(١) **ما مستنده النقل**: فالنقل إما أن يكون عن المعصوم ﷺ وإما عن غيره. وكلاهما إما أن يمكن معرفة صحيحه من سقيمه وإما أن لا يمكن. وهذا الأخير لا فائدة فيه بل هو من فضول الكلام كالاختلاف في لون كلب أهل الكهف، وتعيين البعض الذي أخذه موسى ـ عليه السلام ـ من البقرة ونحو هذا. وأما الذي يمكن تمييز صحيحه من سقيمه فيطلب الصحيح منه ويطرح سواه.

(٢) **أما الاختلاف الذي مستنده الاستدلال** فهذا أكثر ما يقع فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد عصر التابعين ـ رضي الله عنهم ـ وهما:

أولاً: اعتقاد معانٍ وتفسير القرآن على ضوئها. وغالب أصحاب هذا الاتجاه هم من المبتدعة وأصحاب المذاهب الضالة ومثال ذلك ما زعمته الرافضة من أن قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٧] قالوا: هي عائشة وقوله تعالى: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾، قالوا: يداه هما أبوبكر وعمر.. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

ثانيًا: تفسير القرآن بمجرد ما يتبادر إلى الذهن من معانٍ قد تكون صحيحة، من غير نظر إلى المتكلم بها وهو الله عز وجل ولا نظر إلى المنزل عليه القرآن ولا نظر إلى المخاطب به. وأكثر من يقع في مثل هذا هم المتصوفة ومتعصبة المذاهب الفقهية، ومثال ذلك أخذ حكم تحريم مس المصحف لغير المتوضىء من قوله تعالىٰ: ﴿**لا يمسّه إلا المطهرون**﴾ [سورة الواقعة، الآية: ٧٩] وهذا أخذ لحكم من غير محله لأن الهاء في قوله «**لا يمسّه**» تعود على الكتاب المكنون فهو أقرب مذكور ولا تعود على القرآن الكريم فهذا مقتضىٰ اللغة العربية وقواعدها.

٤ أحسن طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمله القرآن في موضع قد يكون بسطه في موضع آخر، وما أشار إليه في موضع صرح به في آخر وما نكَّره في موضع عرفه في آخر وهكذا.. وقد فسر الرسول ﷺ القرآن بالقرآن وذلك حينما شكا إليه الصحابة حالهم

بعـد نزول قوله تعالىٰ: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ [سـورة الأنعـام، الآية: ٨٢] فقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم فأعلمهم النبي ﷺ أن الـظلم في الآية معناه الشرك ثم قرأ: ﴿**إن الشرك لظلم عظيم**﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٣]. ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ هو تفسير لقوله تعالى: ﴿**إنا أنزلناه في ليلة مباركة**﴾ [سورة الدخان، الآية: ٣]. ثم تفسير القرآن بالسنة الثابتة ومن ذلك تفسير الرسول ﷺ لقوله تعالىٰ: ﴿**لتركبن طبقًا عن طبق**﴾ [سورة الانشقاق، الآية: ١٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لتركبن طبقًا عن طبق، حالاً بعـد حال، قال هذا نبيكم عليه الصلاة والسلام» ـ رواه البخاري ـ.

ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة كقول عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقد سئلت عن قوله تعالى: ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ قالت: نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه درٌّ مجوف، آنيته كعدد النجوم ـ رواه البخاري ـ. ثم يرجع إلى كلام التابعين وقد يقع في عباراتهم تباين فيظن من الاختلاف وليس الأمر كذلك فإن منهم من يفسر الأمر بنظيره أو بلازمه ومنهم من ينص على الشيء بعينه، وأقوال التابعين ليست حجة على بعضهم إلا إذا اتفقت فهي حجة على الناس.

وأما التفسير بمجرد الرأي فهو محرم وإن أصاب صاحبه فهو مخطىء لأنه لم يأت الأمر من بابه، قال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ: أيُّ أرضٍ تقلني وأيُّ سماء تظلني إنْ قلت في كتاب الله مالا أعلم.

ولا يضيرك أن تجهل معاني من القرآن، فقد سأل الفاروق عمر نفسه فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف يا عمر فما عليك أن لا تدريه؟ وقد كان السلف يتورعون عن القول في القرآن خاصة كما كان سعيد بن المسيب ـ رضي الله عنه ـ يسأل عن القرآن فيقول: إنا لا نقول في القرآن شيئًا، وكان إذا سئل عن آية سكت كأنه لم يسمع. وكان مسروق بن الأجدع ـ رضي الله عنه ـ يقول: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله. وهذا التورع ـ كما يقول شيخ الإسلام ـ محمول على من لم يعلم أما من علم لغة وشرعًا فلا حرج عليه بل يجب عليه الكلام فيما يعلم.

٥ الإسرائيليات: الأصل في روايتها الاستشهاد لا الاعتقاد وهي على ثلاثة أقسام:

(١) ما علمنا صحته.

(٢) ما علمنا كذبه.

(٣) ما هو مسكوت عنه فلا يصدَّق ولا يكذَّب وتجوز حكايته لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديث الذي رواه البخاي: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**».

وقد حكاه الله تعالىٰ بقوله: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار**

فيهم إلا مراءً ظاهرًا﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٢] . وقد اشتملت هذه الآية على الأدب في هذا المقام فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف قولين وسكت عن الثالث فدل على صحته إذ لو كان باطلاً لرده، ثم أرشد إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فيقال في مثل هذا: ﴿**قل ربي أعلم بعدتهم**﴾ ثم قال: ﴿**فلا تمار فيهم إلا مراءً ظاهرًا**﴾ أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا معول عليه. . قال شيخ الإسلام: وهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وتنبه على الصحيح وتبطل الباطل وتذكر ثمرة الخلاف لئلا يطول النزاع.

أما عامة ما يروىٰ من الإسرائيليات فمداره على أربعة: عبدالله بن سلام وكعب الأحبار ووهب بن منبه وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج وهم ثقات فيما يروون. راجع الفتاوى (١٣ / ٣٢٩).

٦ أمور يجب على المفسر تجنبها:

١ ـ التهجم على بيان مراد الله مع الجهالة بأصول الشريعة وقوانين اللغة.

٢ ـ الخوض فيما استأثر الله تعالىٰ بعلمه.

٣ ـ السير مع الهوىٰ والاستحسان.

٤ ـ جعل المذهب أصلاً والتفسير تابعًا له.

٥ ـ القطع بأن مراد الله كذا وكذا من غير دليل. قال الزركشي: كل لفظ احتمل وجهين فصاعدًا هو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي، فإن كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم الدليل على أنِ المراد هو الخفي. التفسير والمفسرون.

ثانيا: قواعد لفقه كتاب الله تعالى

١ «التعبير عن شيئين والمقصود أحدهما كثير في كتاب الله تعالى» كقوله: ﴿**نسيا حوتهما**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦١] والذي نسي واحد. وقوله: ﴿**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩] وقوله: ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٣٠] والرسل من الإنس خاصة. ولا يستدل هنا بقوله تعالى: ﴿**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٢] لأن المقصود هنا البحران العذب والملح كما صرَّح الله بذلك في موضع آخر.

٢ «مراعاة مراحل التنزيل تجلب نفعًا كبيرًا للمتدبر» فقد حرمت الخمرة على مراحل أربع:

أولاً: قوله تعالى: ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَرًا ورزقًا حسنًا**﴾ [سورة النحل، الآية: ٦٧] ففصل السكر عن الرزق الحسن وفي هذا دليل على أنه غير حسن.

ثانيًا: قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٩] وبعد هذه الآية شربها قوم وامتنع عنها آخرون.

ثالثًا: قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة**

وأنتم سكارىٰ حتى تعلموا ما تقولون﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٣] فكانت هذه الآية تمنعهم من شربها جل وقتهم.

رابعًا: قوله تعالىٰ: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصابُ والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾** [سورة المائدة، الآية: ٩٠] وكانت هذه الآية صريحة في التحريم.

وقد حرم الربا على مراحل أربع:

أولًا: قوله تعالىٰ: **﴿وما آتيتم من ربًا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾** [سورة الروم، الآية: ٣٩].

ثانيًا: ذم الله تعالى أهل الكتاب حين وصفهم بقوله: **﴿وأخذهم الربا وقد نهوا عنه﴾** [سورة النساء، الآية: ١٦١].

ثالثًا: تحريم الربا المضاعف: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافًا مضاعفة﴾** [سورة آل عمران، الآية: ١٣٠].

رابعًا: التحريم الشامل لجميع صور الربا وأشكاله: **﴿وأحل الله البيع وحرّم الربا﴾** [سورة البقرة، الآية: ٢٧٥].

كما تدرج تعالى في تنزيل آيات الجهاد من الكفِّ إلى الدفاع إلى الهجوم حيث قال: **﴿كُفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة﴾** [سورة النساء، الآية: ٧٧] ثم قال: **﴿أُذِنَ للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾** [سورة الحج، الآية: ٣٩] ثم قال: **﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾** [سورة التوبة، الآية: ٣٦].

٣ «خواتيم الآيات مرتبطة بموضوعاتها». انظر إلى قوله تعالىٰ: **﴿وإمَّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميعٌ عليم﴾** [سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠] دل ـ كما يقول الرازي في تفسيره ـ أن مجرد الاستعاذة باللسان لا يفيد، ذلك أنه ختم الآية بقوله «سميع عليم» أي سميع لما يقال عليم بما يدور في القلوب. وانظر إلى قوله تعالى: **﴿والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾** [سورة المائدة، الآية: ٣٦]. وكيف استهجن أعرابي لا يعرف القرآن ختم هذه الآية بـ«غفور رحيم». ولهذا استشكل بعض المفسرين قول الله تعالىٰ ـ على لسان عيسى عليه السلام ـ **﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾** [سورة المائدة، الآية: ١١٨]. وكيف ختمت بهذين الاسمين؟ وأجيب عن ذلك بأن مقام عيسىٰ ـ عليه السلام ـ هنا مقام تبرؤ وليس مقام استشفاع.

٤ «الحروف المقطعة في أوائل بعض السور لها مغزىٰ وليس لها معنىٰ» والأظهر في مغزاها أنها تحدٍّ وإعجاز أي أن تلك الأحرف هي مادة هذا الكتاب فأتوا بمثله، ولذا يأتي بعد ذكرها ـ غالبًا ـ ذكر القرآن أو ذكر خبر لا يعرف إلا عن طريق القرآن. أما من حيث المعنى العربي فليست العرب تعرف في لسانها هذه الأحرف، والله أعلم بمراده.

٥ «يرد النفي في القرآن مقيدًا والمراد النفي مطلقًا». وهذا من قبيل المبالغة في النفي كقوله تعالى: ﴿**ولا تشتروا بآياتي ثمنًا قليلاً**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٤٤]. أي لا قليلاً ولا كثيرًا. وقوله تعالى: ﴿**وإن جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٨] أي لا تطعهما في الإشراك بي فيما لك به علم أو ليس لك به علم. وهذه القاعدة داخلة في التي تليها.

٦ «القيد الوصفي لا مفهوم له بخلاف القيد الاحترازي». ومن أمثلة القيد الوصفي قوله تعالى: ﴿**ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه**﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٧] قوله: ﴿**لا برهان له به**﴾ وصف لكل معبود بغير حق، فلا يفهم من الآية أن من دعا إلهًا آخر له به برهان فلا يناله الوعيد لأن كل معبود من دون الله فهو معبود بغير برهان وتلك صفة لازمة له.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوءَ بجهالةٍ**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧] قوله: «بجهالة» وصف لازم لكل من عمل سوءًا فلا يقال لمن عمل سوءًا عالمًا بأنه سوء إنه لا توبة له لأن هذا القيد قيد وصفي وليس احترازيًّا.

ومثل القيد الاحترازي قوله تعالى: ﴿**ولعبد مؤمن خير من مشرك**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢١] قوله: «مؤمن» قيد احترازي يخرج غير المؤمن أي أن العبد غير المؤمن ليس بالضرورة أن يكون خيرًا من المشرك.

٧ «الإحاطة بأسباب النزول لا معدل عنها لفهم الآية على وجهها» قال شيخ الإسلام: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. قال الله تعالى: ﴿**ولله المشرق والمغربُ فأينما تولّوا فَثَمَّ وجه الله**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٥] ظاهر الآية يدل على أن المسلم يصلي إلى أي جهة شاء وليس كذلك فإن الآية نزلت في صلاة النافلة للمسافر أو لمن صلى باجتهاده، وكذلك قوله تعالى: ﴿**لا تَحْسَبَنَّ الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازةٍ من العذاب**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨٨] استشكلها مروان بن الحكم وقال: لنعذبن أجمعون، حتى بيّن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن الآية نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره واستحمدوه بذلك.

٨ «الأولى أن تحمل الآية على كل المعاني المختلفة اختلاف تنوع وعدم اعتماد أحدها دون البقية إلا بدليل».

أخرج ابن سعد عن أبي الدرداء موقوفًا: «لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة».

قال الله تعالى: ﴿**إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحًا فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٧٠]. اختلف في معنى التبديل هنا. فقال الحسن: قوم يقولون التبديل

في الآخرة وليس كذلك إنما التبديل في الدنيا يبدل الله لهم إيمانًا مكان الشرك وإخلاصًا من الشك وإحصانًا من الفجور، وقيل إن السيئات تبدل حسنات في الآخرة وبذلك قال جماعة من الصحابة قال الشوكاني: والأحاديث في تكفير السيئات وتبديلها بالحسنات كثيرة. وواضح أن هذا الاختلاف اختلاف تنوع فيمكن الجمع بأن التبديل يكون في الدنيا والآخرة والله أعلم.

٩ «التأمل في اختلاف التعبير يسفر عن الفهم الصحيح».

ومن ذلك أن المفسرين فهموا أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه مرتين الأولى لإقامة بلد آمن ﴿**رب اجعل هذا بلدًا آمنًا**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٢٦] فالطلب هنا منصبٌّ على جعل المكان بلدًا والثانية دعاه أن يجعل البلد الكائن آمنًا بقوله: ﴿**رب اجعل هذا البلد آمنًا**﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٥] فالطلب منصب على جعل البلد آمنًا.

كما فهموا أن الله تعالى طمأن المؤمنين مرتين مرة في بداية الدعوة في قوله: ﴿**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره**﴾ [سورة الصف، الآية: ٨] حيث عبّر هنا بـ«ليطفئوا» فهم يجمعون الوسائل لإخماد الدعوة فطمأن الله عباده المؤمنين بجملة اسمية تفيد الاستقرار والثبوت ﴿**والله متم نوره**﴾ ، وعند اشتداد الدعوة نزل قوله تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣٢] هنا عبّر بـ(أن يطفئوا) فهم قد

أعدوا العدة، والإطفاء وشيك فطمأن الله عباده المؤمنين بجملة فعلية تفيد التجدد والحدوث ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾.

١٠ «من الخبر ما يكون إنشاء». كقوله تعالى: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾ [سورة البقرة، الآية:٢٣٣] وقوله عن بيته الحرام ﴿**ومن دخله كان آمنًا**﴾ [سورة آل عمران، الآية:٩٧] هو أمر بتأمين من يدخل البيت الحرام. وقوله: ﴿**فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**﴾ [سورة البقرة، الآية:١٩٧] هو نفي مفاده النهي وهو أبلغ منه في تحصيل المقصود.

١١ «احمل ألفاظ القرآن على عدم الترادف ما أمكن ذلك». فقد منع بعض أهل اللغة الترادف في اللغة مطلقًا، ولاشك أن حمل ألفاظ القرآن المختلفة على معانٍ متقاربة أولى من حملها على معنى واحد، قال بدر الدين الزركشي في البرهان: فالشح في القرآن ليس هو مطلق البخل بل هو أشده، والخشية ليست هي الخوف بل هي غايته، وثمة فرق آخر بين الخشية والخوف وهو أن الخشية تكون من عظم المخشي والخوف من ضعف الخائف. والله أعلم.

١٢ «ما كل ما جاز في العربية جاز في القرآن الكريم». ومن ذلك الكذب والهجاء المقذع والهزل وغير ذلك، ويضرب بعض العلماء

مثلاً لذلك بالمجاز وبعضهم يمنع وجوده في اللغة أصلاً، وهذه مسألة كبيرة تراجع في مظانها.

١٣ «حذف جواب الشرط يدل على تعظيم الأمر وشدته في مقام الوعيد». وذلك كقوله تعالى: ﴿**ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم**﴾ [سورة السجدة، الآية: ١٢]. وقوله: ﴿**ولو ترى إذ فزعوا فلافوت**﴾ [سورة سبأ، الآية: ٥١]. ونحوها، فحذف الجواب هنا أولى من ذكره ليدل على عظمة ذلك المقام وأنه لهوله وشدته وفظاعته لا يعبّر عنه ولا يدرك بالوصف. القواعد الحسان، ٣٠.

١٤ «تفهم معاني الأفعال على ضوء ما تتعدّى به». فالفعل «نظر» إذا عدي بنفسه فمعناه التوقف والانتظار وإذا عدي بإلى فهو المشاهدة بالأبصار وإذا عدي بفي فهو التفكر والاعتبار. ومن الأول قوله تعالى: ﴿**انظرونا نقتبس من نوركم**﴾ [سورة الحديد، الآية: ١٣]. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ [سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣]. ومن الثالث قوله تعالى: ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٣٥]. والفعل «استوى» إذا عدي بعلى فمعناه العلو والارتفاع كقوله تعالى: ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ [سورة الرعد، الآية: ٢]. وقوله: ﴿**لتستووا على ظهوره**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ١٣]. وإذا عدي بإلى

دل على القصد كقوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٩] وإذا أتى بلا تعدية دل على الكمال كقوله تعالى: ﴿**ولما بلغ أشده واستوى**﴾ [سورة القصص، الآية: ١٤].

١٥ «ذكر الاسم في القرآن مرتين متتاليتين له حالات أربع»:

(١) أن يكون الاسمان معرفتين فالأول هو الثاني غالبًا كقوله تعالى: ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين**﴾.

(٢) أن يكونا نكرتين فالأول غير الثاني غالبًا كقوله تعالى: ﴿**فإن مع العسر يسرًا إن مع العسر يسرًا**﴾ [سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦].

(٣) أن يكون الأول نكرة والثاني معرفة فالثاني هو الأول حملاً على العهد كقوله تعالى: ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول**﴾[سورة المزمل، الآيتان: ١٥، ١٦] وقوله: ﴿**فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجة الزجاجة..**﴾ [سورة النور، الآية: ٣٥].

(٤) أن يكون الأول معرفة والثاني نكرة فينبني فهمه على القرائن كقوله: ﴿**يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٥٣]. وقوله: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة**﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٥].

ذكر هذه القاعدة السيوطي في الإتقان ونقل كلامًا يفيد أنها غير منضبطة.

١٦ «كل استفهام في القرآن متلو بعطف فالأصل فيه العطف ثم الاستفهام». ولكن يقدم الاستفهام لما له من صفة الصدارة في الكلام، وذلك كقوله تعالى: ﴿**قال أولم تؤمن**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦] أصلها «قال وألم تؤمن» وقوله: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض**﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٩] أصلها «فألم يسيروا في الأرض» إلا أن تقدر جملة قبل العطف كقوله: «أفلا تذكرون» أصلها: «أتغفلون فلا تذكرون».

١٧ «معرفة الوقف والابتداء فن جليل وعلم نبيل يعين على فهم المراد من الآية» فمثلاً، في قوله تعالى: ﴿**ولم يجعل له عوجا. قيمًا**﴾ [سورة الكهف، الآيتان: ١، ٢]. يجب الوقوف عند «عوجًا» وكذا يجب الوقوف على كلمة «النار» في قوله تعالى: ﴿**أنهم أصحاب النار. الذين يحملون العرش**﴾ [سورة غافر، الآية: ٦، ٧]. وعلى كلمة «قولهم» في قوله تعالى: ﴿**ولا يحزنك قولهم. إن العزة لله جميعًا**﴾ [سورة يونس، الآية: ٦٥]. وقد يختلف المعنى باختلاف الوقف كما في أمثلة تعانق الوقف كقوله تعالى: ﴿**فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٢٦] يتغير المعنى عند الوقوف على كل من «عليهم» و«سنة».

١٨ «اسم التفضيل يجيء في القرآن مجردًا عن التفضيل والمقارنة

مقررًا لصفة ما» كقوله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾ وقوله: ﴿هو أعلم بكم﴾ وقوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًّا وأحسن مقيلاً﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٤].

١٩ «الأصل في اسم التفضيل أن يضاف إلى ماهو جزء منه». ولذا خطأ بعض حذاق العربية من يقول: «زيد أفضل إخوته» لأن زيدًا ليس من إخوته وأجازوا أن يقال: «زيد أفضل بني أمه» لأنه منهم، غير أن هذا الأصل لا ينطرد في كل اسم تفضيل مضاف ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إن ربك هو أعلم من يضلّ عن سبيله﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١١٧]. وقوله: ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٥].

٢٠ «صيغ الأمر في القرآن أربع يجب العناية الفائقة بها عند ورودها». وتفصيلها أنها هي الصيغ المعروفة في اللغة العربية:

* فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٨].
* فعل المضارع المجزوم بلام الأمر كقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾ [سورة الطلاق، الآية: ٧].
* اسم فعل الأمر كقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٥].

* المصدر النائب عن فعله كقوله تعالى: ﴿**فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩].

٢١ «الأصل في الضمير أن يعود إلى أقرب مذكور، كما أن الضمائر إذا تعاقبت فالأصل أن يتحد مرجعها» كقوله تعالى: ﴿**أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ فليلقه اليمُّ بالساحل**﴾ [سورة طه، الآية: ٣٩] كلها تعود إلى موسى. وترد حالات لا يمكن إرجاع الضمائر المتعاقبة إلى مرجع واحد كقوله تعالى: ﴿**ولا تستفت فيهم منهم أحدًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٢] فالأول لأصحاب الكهف والثاني لليهود.

قال بعض المفسرين: آية: ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله...**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠] كل الضمائر فيها تعود إلى الرسول ﷺ إلا الضمير في قوله «عليه» فهو لأبي بكر - رضي الله عنه -. معترك الأقران (٣/ ٤٦٥).

٢٢ «الالتفات من أساليب القرآن الكريم». وذلك من المخاطب إلى الغائب والعكس، ومن الأول قوله تعالى: ﴿**حتى إذا كنتم في الفلك وجَرَيْنَ بهم بريح طيبة**﴾ [سورة يونس، الآية: ٢٢]. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿**يطاف عليهم بصِحافٍ من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين وأنتم فيها خالدون**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٧١].

٢٣ «وزن فعيل يأتي بمعنى فاعل وبمعنى مفعول» ومثال الأول قوله تعالى: ﴿**فلا صريخ لهم**﴾ [سورة يس، الآية: ٤٣] أي صارخ ومثال الثاني قوله تعالى: ﴿**جاء بعجل حنيذ**﴾ [سورة هود، الآية: ٦٩] أي محنوذ، وقد يأتي وزن «مفعول» بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿**جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٤٥] أي ساترًا.

٢٤ «معرفة دلالات حروف الجر أمر لازم لفهم دلالة الآيات» ومثال ذلك الحرف «من» له دلالات كثيرة منها ابتداء الغاية كقوله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماءً طهورًا**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٤٨] ومنها التبعيض كقوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات**﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ٥١] ومنها بيان الجنس كقوله تعالى: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٠] ومنها بيان جهة المصدر كقوله تعالى: ﴿**إنما المسيح عيسىٰ ابن مريم رسول الله وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروح منه**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧١] ولو جعلت هذه للتبعيض لأصبحت كفرًا.

٢٥ «تزاد (من) قبل المبتدأ وقبل الفاعل وقبل المفعول لتأكيد النفي وزيادة التنكير. «والتنصيص في العموم» وشواهد ذلك قوله تعالى: ﴿**وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم**﴾ [سورة الأنعام،

الآية: ٣٨] أصلها «وما دابة» فزيدت (من) قبل المبتدأ دابة، وتزاد قبل الفاعل كقوله تعالى: ﴿**أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير**﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٩]، وتزاد قبل المفعول كقوله تعالى: ﴿**هل تحسُّ منهم من أحدٍ أو تسمع لهم ركزًا**﴾ [سورة مريم، الآية: ٩٨]، والشواهد على ذلك كثيرة جدًّا في كتاب الله تعالى.

٢٦ «متعلق الجار والمجرور مهم في فهم الآية» فقوله تعالى: ﴿**وكل شيء فعلوه في الزُّبر**﴾ [سورة القمر، الآية: ٥٢] متعلق «في الزبر» محذوف تقديره مكتوب، وليس متعلقها فعلوه، إذ لو جعلت متعلقها فعلوه لصار المعنى أن كل شيء فعلوه داخل الزبر وهذا معنى باطل فلزم تقدير متعلق مناسب للجار والمجرور.

٢٧ «لا يجوز تعارض القرآن مع الحقائق العلمية الثابتة» فمن الجناية على القرآن الكريم أن يسارع المرء إلى تكذيب حقيقة علمية ثابتة بدعوى معارضتها لنصّ القرآن، وهنا لا يخلو الأمر من حالات ثلاث فإما أن تكون الآيات ظنية الدلالة والحقيقة العلمية ثابتة فيجب إثبات الحقيقة العلمية وعدم الجزم بدلالة الآية، وإما أن تكون الآية قطعية الدلالة والنظرية العلمية تنافيها فيستدل بالقرآن على نفي تلك النظرية. وإما أن تكون الآيات ظنية الدلالة والنظرية غير ثابتة فهنا يتوقف في إثباتها لقوله تعالى: ﴿**ولا تقفُ ما**

ليس لك به علم﴾ [سورة الإسراء، آية: ٣٦]، أما احتمال أن تكون الآيات قطعية الدلالة في نفي حقيقة علمية ثابتة فهذا لا يكون ولا يتصور البتة.

[٢٨] «إذا كان السياق في أمر خاص وأراد الله أن يحكم عليه بحكم ليس خاصًا به عمم هذا الحكم» ومثال ذلك لما ذكر الله تعالى التائبين من المنافقين بقوله: **﴿إلا الذي تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين﴾** [سورة النساء، الآية: ١٤٦]. فلما أراد أن يحكم لهم بالأجر قال: **﴿وسوف يؤتي الله المؤمنين أجرًا عظيمًا﴾** فعمم الحكم ولم يقل «وسوف يؤتيهم» وأمثلة ذلك كثيرة. القواعد الحسان، ٨٧.

[٢٩] «كثيرًا ما ينفي الله الشيء لانتفاء ثمرته وإن كانت صورته موجودة» كقوله تعالى عن أعدائه: **﴿صم بكم عمي﴾** [سورة البقرة، الآية: ١٨] مع وجود آلات السمع والبصر والكلام بدليل قوله: **﴿ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها﴾** [سورة الأعراف، الآية: ١٧٩] فأخبر أن صورها موجودة وفوائدها مفقودة.

(القواعد الحسان)

[٣٠] «الاستثناء بعد الجُمل المتعاطفة يعود إلى بعضها دون بعض حسب الاستنباط» قال الله تعالى: **﴿فتحرير رقبة مؤمنة ودية**

مسلَّمة إلى أهله إلا أن يصدقوا﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٤] فالاستثناء راجع إلى الدية دون تحرير الرقبة. وفي قوله تعالى: **﴿فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً إلا الذين يَصِلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** [سورة النساء، الآية: ٨٩] فالاستثناء لا يرجع إلى الجملة الأخيرة **﴿ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً﴾** ولكن يرجع إلى الأخذ والقتل. وفي قوله تعالى: **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾** [سورة النساء، الآية: ٨٣] الاستثناء لا يرجع إلى الجملة التي قبله لأنه لو رجع إليها لأصبح المعنى أن هناك من الناس من لا يتبع الشيطان بغير فضل الله ورحمته وهذا محال ولذا أرجع بعض العلماء الاستثناء في هذه الآية إلى قوله «أذاعوا به» في أولها ومنهم من أرجعه إلى قوله **﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** ومنهم من خصص الرحمة في الآية بإرسال محمد ﷺ. فصار الاستثناء صحيحًا إذ أن من الناس من كان على هدى وهو ليس من أمة محمد ﷺ، وقيل: بل القليل المقصود في الآية هو العدم والعرب تعرف ذلك في كلامها والله أعلم.

[٣١] «عطف الخاص على العام يدل على فضيلته وآكديته» كقوله تعالى: **﴿من كان عدوًّا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾** [سورة البقرة، الآية: ٩٨] وقوله: **﴿فاعبدني وأقم**

الصلاة لذكري﴾ [سورة طه، الآية: ١٤] دلالة على آكدية الصلاة من جنس العبادات. وقوله: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى﴾** [سورة البقرة، الآية: ٢٣٨] دليل على شرف ومزية صلاة العصر وهكذا.

٣٢ «المشاكلة من أساليب القرآن الكريم» وذلك كقوله تعالى: ﴿**وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٤٠] فأطلق كلمة سيئة على أخذ الحق من باب المشاكلة. وكذا قوله تعالى: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٤].

٣٣ «إطلاق العام وإرادة الخاص» كقوله تعالى: ﴿**ويستغفرون لمن في الأرض**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٥] أي للمؤمنين بدليل قوله: ﴿**ويستغفرون للذين آمنوا**﴾ [سورة غافر، الآية: ٧]. وقوله: ﴿**كل له قانتون**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٦] أي أهل طاعته. وقوله: ﴿**تدمر كل شيء بأمر ربها**﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٢٥] لأنه قال بعدها: ﴿**فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم**﴾ أي أنها لم تدمّر.

٣٤ «الضمير الخاص بالعقلاء يعطى لما لا عقل له لوجود وجه شبه بينهما» كقوله تعالى: ﴿**رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر**

رأيتهم لي ساجدين﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤] وقوله: **﴿قالتا أتينا طائعين﴾** [سورة فصلت، الآية: ١١] وقوله: **﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾** [سورة الأنعام، الآية: ٣٨] وقوله: **﴿وكل في فلك يسبحون﴾** [سورة يس، الآية: ٤٠].

مع أن القياس الغالب «رأيتها لي ساجدة» «أتت طائعة» «ثم إلى ربها تحشر» «وكلها في فلك تسبح».

ووجه الشبه بالعقلاء في الأولى السجود وفي الثانية المخاطبة وفي الثالثة المثلية المذكورة في قوله: **﴿إلا أمم أمثالكم﴾** وفي الرابعة السباحة.

٣٥ «الكناية عما لا يحسن ذكره واردة في كتاب الله» كقوله تعالى: **﴿فلما تغشاها حملت حملاً خفيفًا فمرت به﴾** [سورة الأعراف، الآية: ١٨٩] فإنه كناية عن الجماع ومثله قوله: **﴿أو لامستم النساء﴾** [سورة النساء، الآية: ٤٣]. وقد كنىٰ عنه أيضًا بالرفث والدخول والنكاح والمباشرة.

٣٦ «مسلك السبر والتقسيم يستخدم كثيرًا في القرآن» وهو مفيد في فن المناظرات وخلاصته تقسيم المسألة إلى عدد من الإمكانيات لا تتعداها ثم إبطال كل الإمكانيات بعد اختبارها وسبرها ما عدا

واحـدة فتكون هي المتحتمة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿**أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون**﴾ [سورة الطور، الآيتان: ٣٥، ٣٦]

٣٧ «معرفة الوجوه والنظائر أصل في فهم كتاب الله تعالىٰ». فتجد للكلمة الواحدة معاني شتىٰ وهي الوجوه، أما النظائر فهي نسبة إلى تماثل حروف الكلمة في مواضع متفرقة، ومثال ذلك: كلمة «جعل» لها معنيان رئيسان في القرآن هما الخلق والتصيير فمن المعنىٰ الأول قوله تعالىٰ: ﴿**وجعلنا من الماء كل شيء حي**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٠] ومن المعنىٰ الآخر قوله تعالى: ﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمنٰ إناثًا**﴾[سورة الزخرف، الآية: ١٩]. وكلمة «أمة» اتفق مبناها واختلف معناها فهي في قوله تعالى: ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢٠] أي إمامًا وقدوة، وهي في قوله: ﴿**وجد عليه أمة من الناس**﴾ ﴿سورة القصص، الآية: ٢٣﴾ أي جماعة كثيرة، وهي في قوله: ﴿**وادكر بعد أمة**﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤٥] أي مدة . . . وهكذا.

٣٨ «القرينة في الآية تدل على ما استغلق منها». قال الله تعالى: ﴿**خلق الإنسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٣٧] فسرت كلمـة «عجل» بالعجلة وبعضهم فسرها

بمادة خلق الإنسان، لكن المعنىٰ الأول يتحتَّم المصير إليه بقرينة قوله: ﴿فلا تستعجلون﴾.

٣٩ «سياق الآيات يوضح المقصود بها» وقد قيل: كل إنفاق في القرآن فهو الصدقة إلا في قوله: ﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا﴾ [سورة الممتحنة، الآية: ١١] أي المهر، وكل صوم في القرآن فهو العبادة المعروفة إلا في قوله: ﴿إني نذرت للرحمن صومًا﴾[سورة مريم، الآية: ٢٦] فهو الصمت وكل ما في القرآن من ذكر الظلمات والنور فالمقصود به الهدىٰ الضلال إلا التي في أول الأنعام فإن المقصود بها ظلمة الليل ونور النهار.

٤٠ «يجب مراعاة دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام» وبيان ذلك أن الله تعالى إذا أمر بأمر ـ مثلاً ـ فإنه يتناول هذا الأمر مطابقة ويتناول أي جزء يدل عليه اللفظ تضمنًا ويتناول كل ما لا يتم هذا الأمر إلا به وكل ما ينتج بالضرورة عن فعله التزامًا.

فالأمر بالصلاة مثلاً أمر بما يتوقف عليه صحة الصلاة من الوضوء وتحرِّي القبلة ونحوها.

٤١ «الألفاظ المختلفة المعنى التي مادة اشتقاقها واحدة يجمعها معنى عام» فمادة «نفل» معناها العام الزيادة وقد استخدمت

بمعنى الغنائم وهي زيادة على النصر في قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾، واستخدمت بمعنى الحفيد وهو زيادة على الولد في قولـه تعـالى: ﴿**ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٧٢]. واستخدمت بمعنى التطوع وهو زيادة على الفرض في قولـه تعـالى: ﴿**ومن الليـل فتهجد به نافلة لك**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٧٩]، وتستخدم بمعنى الحشائش التي سقاها المطر وهي زيادة على الزرع الذي سقي بمؤونة وهكذا.. ومادة «كفر» تدل على الستر والتغطية وقد استخدمت بمعنى الكفر بالله لأنه تغطية للحقيقة المستقرة في النفوس كما في قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم**﴾[سورة فاطر، الآية: ٣٦]. كما أطلق لفظ «كافر» على الزارع لأنه ستر البذور وغطاها كما في قوله تعالى: ﴿**كمثل غيث أعجب الكفار نباته**﴾[سورة الحديد، الآية: ٢٠]. كما يطلق على البحر «كافر» لأنه يستر مابداخله وهكذا.. ومادة «كتب» تدل على الجمع وقد سمي الكتاب كتابًا لأنه جمع للحروف بعضها إلى بعض وسميت الحياكة كتابة لأنها جمع لقطع الثوب، وقد قال بعضهم ملغزًا في الحاكة (الخياطين):

ما الكـاتبـون ومـا خطت أنـاملهم
حرفـًا ولا قرؤوا ما كان في الـكـتب؟

[٤٢] «آيات الكتاب العزيز إما أن تكون نصًّا في المراد أو ظاهرًا في

المراد أو محتملاً يحتاج إلى بيان» فمثال النصّ في المراد قوله تعالى: ﴿**وهو السميعُ البصير**﴾[سورة الشورى، الآية: ١١] فهو نص صريح في أن الله تعالى سميع بصير وهما اسمان يشتق منهما صفتان حقيقيتان لائقتان به سبحانه هما السمع والبصر، وأما الظاهر في المراد فالمقصود به أن تأتي آيات في عدة مواضع متناظرة ومتشابهة إلا في موضع أو موضعين يصعب تعيين المراد فيه فيرد هذا الموضع أو هذان الموضعان إلى نظائرهما لأن المراد ظاهر وذلك من سياق بقية المواضع. وأما المحتمل الذي يحتاج إلى بيان فهو ما تحتمله لغة العرب فيتعينَّ أخذ المعاني من نص داخل هذا النص أو منفصل عنه كقوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾[سورة الحديد، الآية: ٧] فإن اللغة تحتمل أن يكون المعنى المعية الذاتية أو يكون معية الإحاطة والعلم غير أن نصوصًا كثيرة داخل هذا النص وخارجه كنصوص الاستواء على العرش ونصوص العلو تحتم أن يكون المعنى معية الإحاطة والعلم وتنفي المعية الذاتية.

٤٣ «زيادة المبنى تفيد زيادة في المعنى» فقوله تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] «استمسك» أي تمسك تمسّكًا شديدًا فهو تمسُّك وزيادة، وقوله تعالى: ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تَطَهَّرن فأتوهن من حيث أمركم الله**﴾[سورة البقرة،

الآية: ٢٢٢]، قال «فـإذا تطهـرن» ولم يقل «فإذا طهرن» مع قوله «حتى يطهرن» لأن قوله «يطهرن» أي ينقطع الدم وتنزل القصة البيضاء وليس ذلك وحده كافيًا لإتيانهن وإنما قال «تطهرن» أي طهرن واغتسلن فالتطهر طهر وزيادة وهي الاغتسال.

٤٤ «الألفاظ القرآنية تحمل على الحقيقة الشرعية ثم على الحقيقة اللغوية ثم على الحقيقة العرفية» فإن كثيراً من التعريفات الشرعية ـ مثلاً ـ أخص من التعريفات اللغوية. فالإيمان في اللغة هو مجرد التصـديق ومنـه قولـه تعـالى: ﴿**ومـا أنت بمؤمنٍ لنـا ولـو كنّـا صادقــين**﴾[سـورة يوسف، الآية: ١٧] وهـو في الشرع قول باللسـان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. والظلم في اللغة هو النقص ومنه قوله تعالى: ﴿**كلتا الجنتين آتت أكلهـا ولم تظلم منه شيئًا**﴾[سورة الكهف، الآية: ٣٣] وفي الشرع هو التعدي على الخلق بغير حق، والصلاة في اللغة هي الدعاء وفي الشرع ليست مجرد الدعاء بل هي دعاء وزيادة فهي أخصّ منه، والأمثلة على ذلك كثيرة.

٤٥ «من الإنشـــاء ما يكــون خبراً» وذلـك نحـو قولـه تعـالى: ﴿**فليضْحَكـوا قليـلاً وليبكوا كثيراً**﴾[سورة التوبة، الآية: ٨٢] فظاهره الأمر وحقيقته الخبر عن كونهم يضحكون في الدنيا قليلاً ويبكون في الآخرة كثيراً. فوائد في مشكل القرآن/ ١٣١.

ثالثا: فوائـــد لغويـــة

١ قال الله تعـالى: ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلامًا قال سلام﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٢٥] ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ أن تحية إبراهيم ـ عليه السلام ـ أحسن من تحية الملائكة ـ عليهم السلام ـ وذلك أن الملائكة سلموا على إبراهيم بجملة فعلية تقديرها «نسلم عليك سلامًـا» وهي تفيد التغير والتجدد أما إبراهيم فقد سلم بجملة اسمية تقـديرهـا «عليكم سلام» وهي تفيد الثبوت والاستقرار. الرسالة التبوكية.

٢ قال الله تعالى: ﴿وَيْكَأَنه لا يُفلح الكافرون﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٢] قال الكســائي: «كلمــة تنـدم وتعجب وأصله ويلك فالكـاف ضمير مجرور». وقال الأخفش: وي اسم فعل بمعنى أعجب والكـاف حرف خطاب وأن على إضـمار الـلام. والمعنى أعجب لأن الله، وقال الخليل: وي وحدها وكأن كلمة مستقلة للتحقيق لا للتشبيه.

وذكر ابن الأنباري أن وي حرف وكأنه حرف ووُصلا نظرًا لكثرة الاستعمال مثل يبنؤم.

[٣] قال الله تعالى: ﴿وإن أَوْهَنَ البيوت لبيتُ العنكبوت﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٤١] أخذ بعض العلماء على الحريري ـ صاحب المقامات ـ قوله «وأدخلني بيتًا أحرج من التابوت وأوهى من بيت العنكبوت» مستدلين بهذه الآية وأنه لا يجوز تعدي أمثال القرآن وأخباره، فهذه الآية تقرر أن لا وجود لبيت أوهن من بيت العنكبوت بخلاف نصِّ المقامة السابقة.

[٤] قال الله تعالى: ﴿الحجُّ أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحجَّ فلا رفَثَ ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٧] لا يقوم الضمير مقام الاسم الظاهر «الحج» في الآية لأن معانيه مختلفة فكلمة «الحج» الأولى تعني أشهره والثانية تعني ركن الحج والثالثة بمعنى «في أيامه وأثناء أداء شعائره».

[٥] قال الله تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حُرُم ذلك الدين القيِّم فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾[سورة التوبة، الآية: ٣٦]. اختلاف الضميرين العائدين على الشهور فالأول (ها) والثاني (هن) مرده إلى كون الضمير الأول يعود إلى جمع كثرة هو «اثنا عشر شهرًا» والثاني يعود إلى جمع قلة هو «أربعة حرم». معترك الأقران (٣/ ٤٦٩).

٦ قال الله تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعًا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾[سورة الرعد، الآية: ١٨]. قال ابن هشام: سوء الحساب أن يؤاخذ العبد بكل ماجناه في الدنيا:

سوء الحساب أن يؤاخذ الفتى
بكل شيء في الحياة قد أتى

ولفظ «سوء الحساب» من قبيل إضافة الصفة للموصوف، أي الحساب السيىء.

٧ قال الله تعالى: ﴿والذين تبوَّؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم﴾[سورة الحشر، الآية: ٩] إن قيل الإيمان ليس مكانًا يُتبوأ ومعنى التبوء اتخاذ المكان منزلاً. فما توجيه هذه الآية؟ فيقال: فيه إضمار تقديره «وأخلصوا الإيمان» كقول الشاعر: علَفتها تبنًا وماءً باردًا أي وسقيتها ماءً باردًا. الأنموذج الجليل للرازي.

٨ قال الله تعالى: ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانكم هلم إلينا﴾[سورة الأحزاب، الآية: ١٨] من المعلوم في اللغة أن «قد» إذا دخلت على الماضي فهي للتحقيق وإذا دخلت على المضارع فهي للتقليل والتشكيك في الغالب كقولك «قد آتي» أي:

ربما آتي أما في كتاب الله فإن «قد» إذا دخلت المضارع المسند إلى الله تعالى فهي للتحقيق دائمًا كما في آية الأحزاب هذه وغيرها.

٩ قال الله تعالى: ﴿**وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض**﴾[سورة هود، الآية: ١٠٨] وهذا تعليق بزائل لأن السموات تطوى والأرض تبدل، ولاشك أن المؤمنين يخلدون في الجنة أبدًا، ولذا فيقال إن هذه الآية سيقت على أسلوب العرب الدارج من تعليق أمر بزائل والمقصود التأبيد كقولهم: «أحبك ما تعاقب الليل والنهار» وقول القائل: «ما ضأضأ البرق في شام وفي يمن» أي دائمًا.

١٠ قال الله تعالى: ﴿**قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم**﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٦٩] النار المناداة نكرة مقصودة وهي النار التي أوقدت لإبراهيم عليه السلام فقط وليس كل نار صارت باردة بمقتضى هذا الأمر كما ذكر بعض المفسرين.

١١ قال الله تعالى: ﴿**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب**﴾[سورة البقرة، الآية: ١٧٩] فاق قوله تعالى: «في القصاص حياة» حكمة يرددها العرب الجاهليون وهي قولهم «القتل أنفى للقتل» وذلك من أوجه كثيرة منها:

- أن الآية أكثر اختصارًا من الحكمة.
- أن القصاص أعم من القتل من حيث تعلقه بالجوارح كالسن والعين والأذن بخلاف القتل.
- أن القصاص أعم من حيث كونه يشمل العفو والدية بخلاف القتل.
- لفظ القصاص فيه إشعار بالعدل والرحمة ولذا ورد بعدها ﴿**فمن عفي له من أخيه شيء**﴾ فذكّر بالأخوة التي هي مصدر التراحم ولا تنتفي ولو وصل الأمر إلى التقاتل.
- لفظ «حياة» منكَّر ليعم أنواعًا من الحيوات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الهانئة.

وقد طرق الشعراء هذا المعنى غير أن أحدًا منهم لم يقترب من بلاغة الآية الكريمة قال أبو تمام: **إن الدم المغبَّر يحرسه الدم.**

١٢ قال الله تعالى: ﴿**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٨٢] لم أقيم الاسم الظاهر مقام الضمير؟ أي لم تكن الآية «فتذكرها الأخرى» مع أنها أوجز؟ قيل في الجواب عن ذلك: لو كانت الآية (فتذكرها الأخرى) لأصبحت (الأخرى) فاعلاً والهاء التي قبلها مفعولاً به وتقديم المفعول به على الفاعل دليل أهميته والاعتناء به فأصبح الاهتمام بالناسية لا

بالذاكرة، والأمر ليس كذلك إذ الاهتمام بالذاكرة فصارت الآية «فتذكر إحداهما الأخرى» أي فتذكر الذاكرةُ الناسيةَ بتقديمِ الفاعل.

١٣ كلمة (سبيل) أتت في كتاب الله مذكرة ومؤنثة وشاهد تذكيرها قوله تعالى: ﴿**وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً**﴾[سورة الأعراف، الآية: ١٤٦] وشاهد تأنيثها قوله تعالى: ﴿**قل هذه سبيلي**﴾[سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

١٤ كلمة (بشر) أتت في كتاب الله جمعًا ومفردًا ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**وما هي إلا ذكرى للبشر**﴾[سورة المدثر، الآية: ٣١] ثم قوله: ﴿**قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولاً**﴾[سورة الإسراء، الآية: ٩٣].

١٥ تطلق الدرجات على الدركات وذلك أخذًا من قوله تعالى عن الذين حق عليهم القول: ﴿**ولكل درجات مما عملوا**﴾[سورة الأحقاف، الآية: ١٩] والمقصود بها الدركات. التذكرة، ٣٨٢.

١٦ قال الله تعالى: ﴿**ومن يكسب خطيئة أو إثمًا ثم يرم به**

بريئًا﴾[سورة النساء، الآية: ١١٢] يجوز في الضمير أن يعود إلى أحد المتعاطفين دون الآخر، فهنا عاد الضمير «الهاء» في «به» إلى الإثم لا إلى الخطيئة، وقوله تعالى: **﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها﴾**[سورة الجمعة، الآية: ١١] فعاد الضمير إلى التجارة دون اللهو. وقوله تعالى: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾**[سورة البقرة، الآية: ٤٥] عاد الضمير إلى الصلاة.

١٧ قال الله تعالى: **﴿إنكِ كنتِ من الخاطئين﴾**[سورة يوسف، الآية: ٢٩] ولم يقل من الخاطئات لإجماع أهل اللغة على تغليب الذكر على الأنثى في الجمع، كقوله تعالى عن مريم الصديقة **﴿وكانت من القانتين﴾**[سورة التحريم، الآية: ١٢].

١٨ قال الله تعالى: **﴿وما يعمَّر من معمَّر ولا يُنقص من عمره﴾**[سورة فاطر، الآية: ١١] الضمير في قوله «عمره» لا يعود إلى عين المعمر لأن المعمر والمنقوص من عمره ضدان ولكنه يعود إلى جنس المعمر الذي هو مطلق الشخص، وهذه المسألة معروفة عند علماء العربية بمسألة: عندي درهم ونصفه، أي ونصف درهم آخر. قال ابن كثير رحمه الله في هذه الآية: الضمير عائد على الجنس لا على العين.

١٩ قال الله تعالى: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمتْ وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾[سورة البقرة، الآية: ٢١٧] وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾[سورة المائدة، الآية: ٥٤].

الفعل الثلاثي المضعف مثل «ردّ» إذا جزم مضارعه فلأهل اللغة فيه مذاهب أشهرها:

* أن يفك إدغامه كما في الآية الأولى «ومن يرتدد» وهذه لغة تميم.
* أن يبقى إدغامه ويلازمه الفتح كما في آية المائدة «من يرتدَّ» وهي لغة أهل الحجاز، وكلا الوجهين - كما ترى - ورد به القرآن.
* أن يبقى إدغامه ويأخذ حركة ما قبله أو ما بعده بالإتباع كما تقول آمرًا بالفرار «فِرِّ».

٢٠ قال الله تعالى: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفًا﴾[سورة طه، الآية: ٩٧] (ظلت) معناها «ظللت» فحذفت إحدى اللامين تخفيفًا ولأن اجتماع الأمثال مكروه والعرب تفعل ذلك كثيرًا، قال الخليل بن أحمد: أصل (مهما) الشرطية ماما قلبوا الألف الأولى هاءً لاستقباح التكرير. الأشباه والنظائر.

٢١ يطلق الظن في القرآن الكريم مرادًا به اليقين كقوله تعالى: ﴿إني ظننتُ أني ملاقٍ حسابيه﴾[سورة الحاقة، الآية: ٢٠].

٢٢ يفرَّق بين الخاطىء والمخطىء أن الأول من أخطأ متعمدًا والآخر من أخطأ من غير تعمد. فالأول ملوم والآخر معذور ومثال الأول قوله تعالى: ﴿**ناصية كاذبة خاطئة**﴾[سورة العلق، آية: ١٦] وقوله: ﴿**إنكِ كنتِ من الخاطئين**﴾[سورة يوسف، الآية: ٢٩] ومثال الآخر قوله تعالى: ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٥].

٢٣ قال الله تعالى عن السراب: ﴿**حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا**﴾[سورة النور، الآية: ٣٩] قال ابن جرير رحمه الله: فإن قال قائل: إن لم يكن السراب شيئًا فعلام دخلت الهاء في قوله: «جاءه»؟ قيل: إنه شيء يرى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفًا من بعيد فإذا قرب منه دق وصار كالهواء، وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجده شيئًا. جامع البيان.

٢٤ قال الله تعالى: ﴿**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**﴾[سورة التحريم، الآية: ٤] وليس لهما سوى قلبين وإنما قال قلوبكما لأن المثنى إذا أضيف إليه شيئان هما جزآه جاز في هذين الجزأين الجمع والثنية والإفراد. وأفصحها الجمع - كما في الآية - فالإفراد فالتثنية فإن فرِّق المثنى كان الأفصح الإفراد كقوله تعالى: ﴿**على لسان داود وعيسى ابن مريم**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٩]. وأما إن كان الشيئان

المضافان إلى المثنى ليسا جزأيه وإنما منفصلان عنه فالقياس الجمع كما في الحديث «**إذا أويتما إلى مضاجعكما**» فجمع المضاجع نظرًا لأنها منفصلة عن أصحابها وليست جزءًا منهم. وعلى قول من قال: إن أقل الجمع اثنان فلا إشكال أصلاً.

٢٥ قال الله تعالى: ﴿**لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم**﴾[سورة القلم، الآية: ٤٩]. لولا: حرف امتناع لوجود، فوجود التدارك منع نبذه بالعراء حال كونه مذمومًا فالامتناع منصب على الجملة الحالية لا على النبذ بدليل قوله تعالى: ﴿**فنبذناه بالعراء وهو سقيم**﴾[سورة الصافات، الآية: ١٤٥] وعليه فالجملة الحالية «وهو مذموم» عمدة لا فضله ومثله قوله تعالى: ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ فالنفي منصب على الحال وهو اللعب لا على الخلق.

٢٦ قال الله تعالى: ﴿**إنما الصدقاتُ للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل**﴾[سورة التوبة، الآية: ٦٠]. جعل الغارمين معطوفة على «في الرقاب» ولم يجعلها معطوفة على الفقراء فيكون المعنى وفي الغارمين وليس للغارمين، والفرق بينهما أن الثانية فيها لام التملك فيكون الإعطاء للمدين نفسه وليس المقصود ذلك وإنما المقصود

فك الدين عن المدين وذلك يتحقق حينما يكون الإعطاء للدائن لفكّ دين المدين. وهذا أنجز في قضاء الدين، إذ قد لا يسدد المدين دينه إذا أعطي المال، بل قيل إن إعطاء الزكاة للدائن أولى من إعطائها المدين ولذا كان التعبير عن ذلك (وفي الغارمين) ولم يكن للغارمين، وقد اختلف الفقهاء في جواز دفع الزكاة عن مدين ميت لدائنيه، ورجح شيخ الإسلام الجواز في فتاواه والله أعلم.

٢٧ قال الله تعالى: ﴿**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر**﴾[سورة الكهف، الآية: ٧٩] فُرِّق بين الفقير والمسكين بأن الفقير من لايجد قوت يومه ولا عمل له. وأما المسكين فهو من لا يجد كفايته وإن كان له عمل كما في الآية فتبين بذلك أن الفقير أشد حالاً من المسكين.

٢٨ قال الله تعالى: ﴿**إن الساعة آتية أكاد أخفيها**﴾[سورة طه، الآية: ١٥] ظاهر هذه الآية أن الله لم يُخف أمر الساعة لقوله: «أكاد أخفيها» والواقع ليس كذلك. وأجيب عن ذلك بأجوبة منها:

* أن هناك محذوفًا تقديره «أكاد أخفيها حتى عن نفسي».
* أن همزة «أخفيها» هي همزة السلب وهي الهمزة التي تدخل على الفعل الثلاثي فتقلب معناه مثل قولك «قسط فلان» أي جار في حكمه وظلم وقولك «أقسط فلان» أي عدل.

وبهذا يكون معنى «أخفيها» أي «أظهرها».

أضواء البيان، ١٠.

٢٩ قال الله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٦٨] الشيطان فيه وجهان أحدهما: أن يكون «فيعالاً» من شطن أي بعد لأنه بعد من رحمة الله، والثاني: أن يكون «فعلانًا» من شاط إذا احترق والوجه الأول أولى. ابن الأنباري/ البيان، (١/ ١٧٧).

٣٠ قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل**﴾[سورة النساء، الآية: ١٣٦]. اختلف الفعل من «نزل» إلى «أنزل» لأن المقصود بالأول هو القرآن وقد نزل منجمًا بالتدريج والمقصود بالثاني الكتب السماوية السابقة وقد نزلت جملة، فلفظ «نزَّل» يفيد التدرج.

٣١ قال الله تعالى ـ على لسان موسى عليه السلام مخاطبًا ربه ـ ﴿**قال هم أولاءِ على أثري**﴾[سورة طه، الآية: ٨٤] ولم يقل «هؤلاء» لأن الهاء في «هؤلاء» للتنبيه والمخاطب هنا لا يحتاج إلى تنبيه لأنه الله تعالى وتقدس.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿إن جهنم كانت مرصادًا﴾[سورة النبأ، الآية: ٢١]. اختلف العلماء في وزن جهنم بالميزان الصرفي فذهب بعضهم إلى أن وزنها «فعنّل» أي أن أصل مادة «جهنم» هو جهم ومعناه عبس، وقال آخرون إن «جهنم» فارسي معرب والأصل «كهنام» وهو بلسانهم «النار» فعربته العرب وأبدلوا الكاف جيمًا.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا﴾[سورة الإسراء، الآية: ٧٢]. قال النيسابوري: لا خلاف في أن المراد عمى القلب في «أعمى» الأولى، أما «أعمى» الثانية فقيل إنها ليست اسم تفضيل لأنها دالة على عيب فلا يقال فلان أعمى من فلان. وقد أجيز ذلك فيما دل على عيب أو لون كقول الشاعر:

أما الملوك فأنت اليوم ألأمهم
لؤمًا وأبيضهم سربالَ طباخِ

فلا يمنع أن تكون «أعمى» الثانية اسم تفضيل أي أشد عمى.

[٣٤] قال الله تعالى: ﴿ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبَروا﴾[سورة النساء، الآية: ٦]. وقال: ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبُر في صدوركم﴾[سورة الإسراء، الآيتان:

٥٠، ٥١] يكـبَر ـ بفتـح البـاء ـ ماضيها كبِر ـ بكسر الباء ـ ويكبُر ـ بضم الباء ـ ماضيها كبُر ـ بضم الباء ـ، والفرق بينهما أن «كبِر» بمعنى تقدمت به السن، و«كبُر» أي عظُم.

[٣٥] حروف الإذلاق ستة مجموعة في قولك «فرمن لب» وسميت حروف الـذلاقة لسرعة النطق بها وخروجها من ذلق اللسان أي طرفه وباقي الحروف تسمى حروف الإصمات وها هنا فائدة، وهي أن حروف الـذلاقـة لابـد أن تدخل في أصول الكلمات العربية الـربـاعية والخماسية، فكل أصل رباعي أو خماسي يخلو من حروف الذلاقة فاحكم بأنه غير عربي مثل «عسجد». حق التلاوة/ ٩٤.

[٣٦] قال الله تعـالى: ﴿**تلك حدود الله ومن يطع الله ورسـوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها**﴾[سورة النساء، الآية: ١٣] وقـال بعدها: ﴿**ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارًا خالدًا فيها**﴾[سورة النساء، الآية: ١٤] فجمع «خالدين» في الأولى وأفـرد «خـالـدًا» في الثـانية. أجاب عن ذلك الإمام أبو عبدالله بن الفخار بقوله: إنه تعالى ذكر في الأولى جنات متعددة لا جنة واحدة، والضمير المنصوب في قوله «يدخله» مفرد لفظًا مجموع معنى، وأمـا الآية الثـانية فإنـما فيهـا نار مفـردة فناسبها الإفراد «خالدًا». الإفادات والإنشادات/ ١٥٥.

٣٧ قال الله تعالى: ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ السور المبدوءة بلفظ «الحمد لله» خمس في القرآن هي الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر. وقد فرّق أكثر العلماء بين الحمد والشكر فقيل في ذلك: إن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سبق إحسان والشكر ثناء على المشكور بما أولى من إحسان. وفرّق ابن القيم ـ رحمه الله ـ بينهما فقال: الحمد أعم من الشكر من جهة المتعلّق فالحمد يكون على الخير والشر أما الشكر فلا يكون إلا على الخير، والشكر أعم من جهة الأداة فهو يكون بالقلب واللسان والجوارح وأما الحمد فلا يكون بالجوارح.

٣٨ قال الله تعالى: ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا**﴾[سورة طه، الآية: ١٤] كلمة «أنا» الأولى في الآية تسمى ضمير فصل وضمير الفصل هو ضمير رفع يقع بين المبتدأ وخبره إذا كانا معرفتين ومن فوائده ووظائفه التوكيد والحصر والفصل بأن ما بعده خبر وليس صفة فقولك «زيد الفاضل..» يحتمل أن يكون الفاضل خبرًا لزيد ويحتمل أن يكون صفة له. والخبر منتظر، ولكن إذا قلت «زيد هو الفاضل» دل من غير احتمال آخر أن الفاضل خبر لزيد.

(أصول التفسير/٦٤.)

٣٩ قال الله تعالى: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساءُ والضراء وزلزلوا حتى يقول**

الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله﴾[سورة البقرة، الآية: ٢١٤].
الفعل (يقولَ) منصوب بأن مضمرة وجوبًا بعد (حتى) الغائية، وفي قراءة سبعية (يقولُ) بالرفع، وقد وجهها علماء القراءات بأن الفعل المضارع المنصوب إذا كان في معنى الماضي فيجوز نصبه ورفعه، وهنا (يقول) بمعنى (قال). والله أعلم.

٤٠ قال الله تعالى: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾**[سورة الحديد، الآية: ١٦] (يأني) مضارع أنىٰ بمعنى آن وكثير من الكلمات العربية لا يختلف معناها كثيرًا إذا تغيّر ترتيب أحرفها كقولك جبذ بمعنى جذب وقولك أيس بمعنى يئس وقولك أضفى بمعنى أضاف ونحو ذلك.

٤١ لم يأت في القرآن العظيم فعل مضارع بعد إن الشرطية المدغمة في [ما] المزيدة لتوكيد الشرط إلا مقترنًا بنون التوكيد الثقيلة كقوله: **﴿وإما نرينك﴾**[سورة يونس، الآية: ٤٦] **﴿فإما نذهبن بك﴾**[سورة الزخرف، الآية: ٤١] **﴿فإما تثقفنهم﴾**[سورة الأنفال، الآية: ٥٧] ولذا زعم بعض علماء العربية وجوب اقتران المضارع بالنون المذكورة في الحال المذكورة والتحقيق عدم الوجوب كما قال الشاعر:

زعمت تماضر أنني إما أمت
يسدد أبينوها الأصاغر خلتي

(أضواء البيان)

[٤٢] قال الله تعالى: ﴿إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر﴾[سورة القمر، الآية: ٤٩] وقال: ﴿وكلُّ شيء فعلوه في الزبر﴾[سورة القمر، الآية: ٥٢] فكلمة «كل» منصوبة في الأولى مرفوعة في الثانية وتفصيل ذلك أن «كل» في الآية الأولى منصوبة على الاشتغال ولا يجوز رفعها إذ لو رفعت لأوهم ذلك أن جملة خلقناه صفة لشيء وشبه الجملة «بقدر» خبر لـ«كل» فيصبح المعنى «كل شيء مخلوق هو بقدر» وليس هذا مرادًا إذ المراد كل شيء هو مخلوق بقدر. وأما «كل» في الآية الثانية فالرفع فيها واجب لأنها مبتدأ خبره «في الزبر» إذْ أن المعنى المراد «كل شيء مفعول هو في الزبر» ولو نصبت «كل» في هذه الآية لصار المعنى «كل شيء هو مفعول في الزبر» وهذا معنى غير صحيح.

[٤٣] قال الله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾[سورة البقرة، الآية: ١٣٠] كلمة «نفسه» منصوبة، قال الفراء: هي تمييز وقال الكسائي والأخفش: بل هي منصوبة بنزع الخافض والتقدير «في نفسه».

[٤٤] قال الله تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون

يؤمنـــون بما أنــزل إليــك ومــا أنــزل من قبلك والمقيمــين الصلاة . . ﴾[سورة النساء، الآية: ١٦٢]. قيل في نصب «المقيمين» ستة أقوال أصحها ـ كما قال النحاس ـ قول سيبويه النصب على المدح والتعظيم ومنه قول العكلي:

وكـــل قوم أطـــاعـــوا أمـــر مرشـــدهم
إلا نمـــيراً أطـــاعـــت أمـــر آويهـــا
الـــظاعـــنـــين ولمـــا يُظعـــنـــوا أحـــدًا
والـــقـــائـــلون: لمن دارٌ نخـــلِّيهـــا؟

٤٥ قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصــارى من آمن بالله واليــوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[سورة المائدة، الآية: ٦٩] رفع «الصابئون» على أنها مبتدأ والتقدير «إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون والنصارى مثل ذلك» قال سيبويه: ونظير هذا قول بشر بن أبي خازم:

وإلا فاعـــلمـــوا أنـــا «وأنـــتـــم
بغـــاة» ما بقـــيـــنـــا في شقـــاقِ

٤٦ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاعَ

الحياة الدنيا﴾[سورة يونس، الآية: ٢٣] نصبت «متاعَ» على المصدرية وتقديره «تمتعون متاعَ الحياة الدنيا».

٤٧ قال الله تعالى: ﴿**وامرأته حمالةَ الحطب**﴾ نصب «حمالةَ» فيه قولان أحدهما: أنها حال والآخر: أن النصب عل الذم أي «أعني حمالةَ الحطب».

٤٨ قال الله تعالى: ﴿**فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾[سورة الحاقة، الآية: ٤٧] كلمة «حاجرين» مجرورة باعتبارها نعتاً لأحد والجمع باعتبار المعنى.

٤٩ قال الله تعالى: ﴿**فإن عثر على أنهما استحقا إثمًا فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان**﴾[سورة المائدة، الآية: ١٠٦]. قال الزجاج: هذه الآية أصعب ما في القرآن من الإعراب، وقال عمر الفاروق عن آيتي المائدة ١٠٦، ١٠٧: أعضل ما في القرآن من الأحكام، ولاشك أن الإعراب تابع للمعنى، فلتراجع في كتب تفسير آيات الأحكام وكتب إعراب القرآن.

رابعا: تصويبـــات

١ قال الله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقد كُذب رسل من قبلك﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨٤] وقال: ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٣٣] والمقصود بتكذيب الرسل ـ في الآية الأولى ـ نسبة الكذب إليهم قولاً وأما نفي التكذيب في الآية الثانية فهو نفي اعتقاد الكذب.. أي أن الكافرين يكذبونك بأفواههم ولكنهم لا يعتقدون كذبك بل هم يصدقونك في دخيلة أنفسهم.

٢ قال الله تعالى: ﴿وليحملُن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ١٣] وقال: ﴿ولا تزر وازرة وِزْرَ أخرى﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٨] يقال في إزالة التعارض الظاهري أن معنى الآية الثانية أن المرء لا يتحمل وزرًا لا دخل له فيه مطلقًا، لا مباشرة ولا تسببًا، أما الآية الأولى ففيها بيان أن الكافر أو العاصي يناله وزر عمله الذي باشره ووزر عمل من تسبب في إضلاله كما قال تعالى: ﴿ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامة ومن أوزارِ الذين يضلّونهم بغير علم﴾ [سورة النحل، الآية: ٢٥]. الأنموذج الجليل.

٣ قال الله تعالى: ﴿وما من إله إلا الله﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦٢]

وقال: ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله﴾ [سورة هود، الآية:] فنفى الألوهية عما سوى الله في الآية الأولى وأثبتها لغيره في الآية الثانية، والجمع بين هاتين الآيتين أن الألوهية المثبتة لله هي الألوهية الحقة الخاصة بالله تعالى وأما الألوهية المثبتة لغير الله فهي الألوهية الباطلة. أصول التفسير.

٤ قال الله تعالى: ﴿أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هُنَّ أُمُّ الكتاب وأخر متشابهات﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٧] ثم وصف القرآن كله بالإحكام في قوله: ﴿كتاب أُحكمت آياته﴾ [سورة هود، الآية: ١] ووصفه كله بالتشابه في قوله: ﴿كتابًا متشابهًا مثاني﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٣] فالقرآن كله محكم في غاية الجودة والإتقان وكله متشابه أي يشبه بعضه بعضًا في الحسن والجمال ويصدق بعضه بعضًا. أما وصف بعضه بالإحكام وبعضه الآخر بالتشابه فالمقصود بالمحكم الواضح المعنى والمقصود بالمتشابه الغائب المعنى إما على العامة وهو المتشابه النسبي أو على الناس جميعًا وهو المتشابه المطلق ومزية المؤمنين إيمانهم بمحكمه ومتشابهه.

٥ قولـه تعالى: ﴿فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ [سورة النور، الآية: ٦٢] يدل على أن النبي ﷺ له الإذن لمن شاء، وقولـه تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ [سورة التوبة،

الآية: ٤٣] توهم خلاف ذلك، والجواب عن ذلك أن النبي ﷺ له الإذن لمن شاء من أصحابه الذين كانوا معه على أمر جامع كصلاة عيد أو جمعة ونحوها، أما الإذن للتخلف عن الجهاد فهو الذي يحتاج إلى تبيّن من النبي ﷺ لمعرفة الصادق في عذره من الكاذب.

٦ قال الله تعالى: ﴿**ولا طعامٌ إلا من غسلين**﴾ [سورة الحاقة، الآية: ٣٦] وهو ما يسيل من صديد أهل النار، والأسلوب أسلوب حصر، وقال في موضع آخر: ﴿**ليس لهم طعامٌ إلا من ضَريع**﴾ [سورة الغاشية، الآية: ٦] وهو الشبرق اليابس، والجمع بينهما إما أن يقال إن عذاب أهل النار ألوان فمنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع وإما أن يقال إن الغسلين والضريع ليسا بطعام أصلاً فيكون المعنى أنهم لا طعام لهم ألبتة كقولهم فلان لا ظل له إلا الشمس أي لا ظل له أصلاً.

٧ قال الله تعالى: ﴿**لا أقسم بهذا البلد**﴾ وقال: ﴿**وهذا البلد الأمين**﴾ اختلف المفسرون في «لا» في الآية الأولى والجمهور على أنها صلة من باب قوله تعالى: ﴿**فلا وربك**﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥] أي فوربك. وقوله: ﴿**لئلا يعلم أهل الكتاب**﴾ [سورة الحديد، الآية: ٢٩] أي ليعلم وقيل إن «لا» نفي لكلام المشركين ثم استأنف بقوله «أقسم»، وقيل إنها لام الابتداء أشبعت فتحتها حتى صارت

ألفًا والإشباع معروف كقول قيس بن زهير:

ألم يأتيك والأنباءُ تنمى
بما لاقت لبون بني زياد

فأشبعت كسرة التاء في «يأتك» حتى صارت ياءً.

(أضواء البيان)

٨ قال الله تعالى: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾ [سورة القصص، الآية: ٥٦] وقال: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٥٢] فالهداية المنفية هي هداية التوفيق والإلهام وهي لله تعالى والهداية المثبتة هي هداية الدلالة والإرشاد.

٩ قال الله تعالى: ﴿**ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٤٣] وقال الرسول ﷺ: «**لن يدخل أحد الجنة بعمله**». جمع بين الآية والحديث أن الباء في الآية هي باء السبب والباء في الحديث هي باء العوض.

١٠ يجمع بين قوله تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٤] وقوله تعالى: ﴿**ومن أظلم ممن ذُكِّر بآياتِ ربِّه فأعرض عنها**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٥٧] بأن يقال: لا أحد من جنس المانعين أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ولا أحد من جنس المعرضين أظلم ممن أعرض

ذكر ربه وهكذا. . وقال أبوحيان: إن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة.

١١ قوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ [سورة النساء، الآية: ٣] يبيّن أن العدل بين الزوجات ممكن، ويظهر من قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ [سورة النساء، الآية: ١٢٩] أن العدل غير ممكن، وجواب ذلك أن العدل الممكن هو العدل المطلوب في توفية الحقوق الشرعية، والعدل الذي ذكر أنه غير ممكن هو المساواة في المحبة والميل، نقله ابن كثير عن جمع من السلف رحمهم الله تعالى.

١٢ قوله تعالى: ﴿ولا يكتمون الله حديثًا﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٢] لا يعارض قوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٢٣] وكذلك قوله: ﴿ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٨] لا يعارض قوله: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ [سورة الصافات، الآية: ٢٤] لأن القيامة مواضع ومواطن فموطن يكتمون وآخر لا يكتمون وموطن يُسألون وآخر لا يُسألون، وجُمع بغير هذا الجمع والله أعلم.

١٣ قوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٨] لا

يعارض قوله: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٩] لأن الحسنة والسيئة من عند الله خلقًا وتقديرًا والسيئات من العبد تسببًا.

١٤ قال الله تعالى مخبراً عن الشيطان: ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٠٠] وقال عنه في موضع آخر: ﴿**وما كان له عليهم من سلطان**﴾ [سورة سبأ، الآية: ٢١] وقد فرق العلامة ابن القيم رحمه الله بين السلطان المثبت والسلطان المنفي بفارقين:

أحدهما: أن السلطان المثبت هو سلطان التزيين والإضلال والسلطان المنفي هو سلطان الحجة.

ثانيهما: أن السلطان المنفي هو سلطان الابتداء حيث لم يجعل الله له عليهم سلطانًا ابتداءً وإنما هم الذين جعلوا للشيطان عليهم سلطانًا بدخولهم في حزبه حتى تسلّط عليهم وهو السلطان المثبت.

١٥ قال الله تعالى: ﴿**قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادّين**﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١٣] وقال: ﴿**يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرًا**﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٣]. وقال: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة**﴾ [سورة الروم، الآية: ٥٥] وجواب اختلاف أقوالهم أن بعضهم يقول عشرًا وبعضهم يقول يومًا

وبعضهم يقول ساعة وأرجحهم عقلاً يقول يومًا لقوله تعالى: ﴿**إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يومًا**﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٤].

أضواء البيان

١٦ قال الله تعالى: ﴿**إنا فتحنالك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله**﴾ [سورة الفتح، الآية: ١]. كيف كان الفتح سببًا للمغفرة؟ والجواب ما اختاره ابن جرير ـ رحمه الله ـ من أن الفتح يستلزم الشكر من النبي ﷺ والشكر سبب للمغفرة فصار الفتح سببًا للمغفرة ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا**﴾ [سورة النصر، الآيات: ١ ـ ٤]. جامع البيان.

١٧ قل الله تعالى: ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٦] يشكل فهمها مع قاعدة «نفي الأخص يستلزم وجود أصل الأعم»، وفي الآية نفى الله تعالى عنه ـ سبحانه ـ حالة خاصة من الظلم وهي كثرته «ظلام» ومع ذلك فالله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة ـ كما أخبر عن نفسه ـ، وقد أجيب عن هذا الإشكال باثني عشر جوابًا، أذكر اثنين منها:

الأول: أنه ـ تعالى ـ أتى بظلام في مقابلة جمع الكثرة «عبيد» فإذا قوبل بهم الظلم كان كثيراً ويرشح هذا الجواب قوله «علام الغيوب» مع قوله «عالم الغيب».

الثاني: أن «ظلام» بمعنى ذي ظلم كبزاز وعطار واختاره ابن مالك.

١٨ قال الله تعالى: ﴿**قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين**﴾ [سورة الزخرف، الآية: ٨١] اختلف العلماء في معنى هذه الآية واختلافهم مبني على الاختلاف في معنى «إن» في الآية فقال قوم: هي شرطية وقال آخرون ـ ومنهم العلامة الشنقيطي ـ: هي نافية، وقد رد في كتابه القيم «أضواء البيان» على القائلين بأنها شرطية ونجتزىء ونختصر من كلامه ما يبيّن المقصود «لو قلنا بأن الآية جملة شرطية فهي شرطية لزومية لا اتفاقية أي أن جملتي الشرط والجزاء بينهما ارتباط وليستا مستقلتين والجملة الشرطية اللزومية لا تكون صادقة حتى تكون جملتا الشرط والجزاء صادقتين معًا أو كاذبتين معًا كقوله تعالى: ﴿**لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٢] فجملتا الشرط والجزاء كاذبتان وعليه فالآية كلها صادقة، وأما في آية الزخرف هذه فإن جملة شرطها «لله ولد» كاذبة وجملة جزائها «أنا أول العابدين» صادقة وعلى ذلك لا تكون الآية كلها صادقة وهذا محال لأن القرآن كله صدق وحق والمخرج من ذلك أن تكون الآية ليست أسلوبًا شرطيًّا وأن تكون «إن» نافية أي «ما كان لله ولد» ثم جملة «فأنا أول العابدين مستأنفة» ومجيء «إن» نافية كثير في كتاب الله كقوله تعالى: ﴿**إن كانت إلا صيحة**

واحدة﴾ [سورة يس، الآية: ٥٣] أي ما كانت، والله أعلم. راجع ذلك مفصلاً، ٧/ ٢٨٧.

١٩ قال الله تعالى: **﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾** [سورة النساء، الآية: ١٠١] مفهوم الآية أن القصر في السفر لا يكون إلا مع الخوف، وقد ثبت في السنة أن النبي ﷺ قصر في السفر مع الأمن، وقد قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في الزاد جمعًا بين ذلك ما فحواه «إن قصر الصلاة نوعان قصر عدد وسببه السفر وقصر أركان وسببه الخوف، فإذا وجد السببان قصرت الصلاة عددًا وأركانًا وإذا وجد السفر دون الخوف قصرت الصلاة عددًا وبقيت الأركان على هيئتها».

٢٠ قال الله تعالى: **﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها﴾** [سورة الإسراء، الآية: ٥٩] معناها وآتينا ثمود الناقة آية مبصرة فظلموا أنفسهم بسبب قتلها، ولا يظهر هذا المعنى من الآية بسبب الحذف والتقدير. الجامع لأحكام القرآن.

٢١ قال الله تعالى: **﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا﴾** [سورة القصص، الآية: ٨] إذا جعلت اللام في كلمة «ليكون»

هي لام العلة أصبح المعنى أن سبب التقاط آل فرعون موسى هو كونه عدوًّا لهم وهذا غير مراد قطعًا إذ لو علموا ذلك لما التقطوه ولذلك فاللام في «ليكون» هي لام العاقبة والصيرورة، أي ليكون لهم في نهاية الأمر عدوًّا، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله أندادًا ليضلوا عن سبيله**﴾ ومثله قول الشاعر:

فللموت تغذو الوالدات صغارها

كما لخراب الدهر تبنى المساكنُ

وقد تكون اللام للعلة ويكون تقدير الآية: «فقدر الله عليهم التقاطه لأجل أن يكون لهم عدوًّا» والله أعلم.

٢٢ قال الله تعالى: ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٩] المعنى على ما قرره ابن عباس ومجاهد ونقله ابن جرير وابن كثير وغيرهما، أي يا محمد ليس أمر أصحاب الكهف والرقيم بعجب من آياتنا بل في آياتنا ما هو أعجب من خبرهم وذلك كخلق السموات والأرض وغيرها من الآيات المبثوثة في الآفاق والأنفس.

٢٣ قال الله تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٠٥] تساق هذه الآية كثيرًا للحث على العمل الصالح المثمر مع أنها سيقت في كتاب الله تعالى تهديدًا ووعيدًا للمنافقين.

٢٤ قال الله تعالى: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ [سورة القصص، الآية: ٧٧] فسرت تفسيرين أحدهما المشهور المتبادر وهو لا تنس جزءًا من متاع الدنيا ورزقها. والآخر هو تفسير النصيب من الدنيا بالعمل الصالح فإن نصيب العبد في دنياه عمله الصالح فيها أما غير ذلك فيذهب سدى إن لم يكن وبالاً وحسرة وعلى ذلك يكون قوله: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ تأكيدًا لمطلع الآية ﴿**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة**﴾.

٢٥ قال الله تعالى: ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٦] يذهب كثير من الناس في فهم النجم في الآية على أنه الكواكب المعروفة، وقد ذكر عامة المفسرين أن المقصود بالنجم هنا الحشائش الصغيرة من النباتات.

٢٦ قال الله تعالى: ﴿**وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظنَّ أن لن نقدر عليه فنادى..**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٨٧] من فسر «نقدر» هنا من القدرة فقد زل وأخطأ وأساء الظن بيونس ـ عليه السلام ـ فيونس لم يشك في قدرة الله لأن ذلك كفر، ولكن «نقدر» في الآية من القدر وهو التضييق كقوله تعالى: ﴿**وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه**﴾ [سورة الفجر، الآية: ١٥] أي ضيق عليه رزقه.

٢٧ قال الله تعالى: ﴿**وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق**﴾ [سورة هود، الآية: ٧١]. قال جمهور المفسرين: الضحك هنا هو الضحك المعروف، وقال مجاهد وعكرمة: ضحكت هنا بمعنى حاضت.

٢٨ قال الله تعالى: ﴿**وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة**﴾ [سورة فصلت، الآية: ٦]. قيل في معناها: يمنعون الزكاة ولا يخرجونها للفقراء، وقيل: لا يشهدون أن لا إله إلا الله لأنها زكاة النفس.

٢٩ قال الله تعالى: ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر**﴾ [سورة آل عمران، الآية:]. استدل بهذه الآية على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية وذلك بجعل «من» في منكم للتبعيض، وقال بعض المفسرين إن «من» في «منكم» للجنس وبذلك يتوجب على كل مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن معنى الآية يصير «ولتكونوا جميعًا. . » كقولك للطالب: ليكن منك قدوة.

٣٠ قال الله تعالى: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنِّ فزادوهم رهقًا**﴾ [سورة الجن، الآية: ٦] قال مجاهد وقتادة: أي زاد رجال الجن من تعوذ بهم من رجال الإنس سفهًا وطغيانًا

وقال أبو العالية والربيع بن أنس وابن زيد: أي زاد المستعيذون من رجال الإنس المستعاذ بهم من رجال الجن تكبرًا وتعاظمًا.

[٣١] قال الله تعالى في معرض قصة سليمان ـ عليه السلام ـ وملكة سبأ ﴿**قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك**﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٠].

قال أكثر المفسرين: القائل هو آصف بن برخيا وزير سليمان، ونقل ابن عطية أن فرقة من المفسرين ذكروا بأن القائل في الآية هو سليمان نفسه استبطاءً لما قاله العفريت.

[٣٢] قال الله تعالى: ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣] قال عامة المفسرين: من مثله أي من مثل هذا القرآن. وقال بعضهم: من مثله أي من مثل هذا الرجل الأمي وهو الرسول ﷺ.

[٣٣] قال الله تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥] وقال: ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ [سورة الحج، الآية: ٧٨] يتخذ بعض العامة من هذه الآيات ذريعة للتخفف من العبادات والتنصل من أحكام الله، وحقيقة الأمر أن هذه الآيات وأمثالها حجة على كل متكاسل أو متقاعس

عن الالتزام بأمر الله والانصياع لحكمه لأن مؤدى هذه الآيات أن أحكام الله تعالى المنصوص عليها في الكتاب والسنة والمستنبطة منها ليس فيها أدنى حرج على العباد بل هي في غاية الرحمة بهم، فمن آخذها - كما هي - بتسليم تام لم يجد حرجًا ولا عنتًا ومن اجتزأ منها ما يشاء بحجة تيسير الله فقد ابعد النجعة، ﴿**افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض**﴾ ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا**﴾ [سورة النساء، الآية: ٦٥].

٣٤ قال الله تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين**﴾ [سورة الدخان، الآية: ١٠] اختلف الناس في هذا الدخان وقد جاء بيانه في الصحيحين عن مسروق قال: كنا جلوسًا عند عبدالله بن مسعود وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن إن قاصًا عند أبواب كندة يقص ويزعم أن اية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام، فقال عبدالله - وجلس وهو غضبان -: يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئًا فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿**قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**﴾ [سورة ص، الآية: ٨٦]. إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»

فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد: إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله عز وجل لهم. قال تعالى: ﴿**فارتقب يوم تأتي السماء**..﴾ إلى قوله: ﴿**إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون**﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا لحالهم فأنزل الله ﴿**يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون**﴾أي يوم بدر.

٣٥ قال الله تعالى: ﴿**يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيًا**﴾ [سورة مريم، الآية: ٢٨] زعم بعض المفسرين أن هارون المذكور في هذه الاية هو النبي، وقد جاء التفسير النبوي بخلاف ذلك فقد روى مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا: أرأيت ما تقرؤون «يا أخت هارون» وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمّون بالأنبياء والصالحين قبلهم؟**».

٣٦ قال الله تعالى: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢] لا يظهر من هذه الآية الدلالة على أن العلم ثمرة التقوى، لأنه لم يرتب العلم على التقوى فيقول: «واتقوا الله

يعلمكم الله» فيكون أسلوب طلب وجواب، وإنما جاء بالواو بين الجملتين. والآية الصريحة في أن العلم ثمرة التقوى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٩] أي علمًا تفرقون به بين الحق والباطل، والله أعلم.

٣٧ قال الله تعالى ـ على لسان بلقيس ملكة سبأ ـ **﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾** [سورة النمل، الآية: ٣٤] قال بعض المفسرين: إن جملة: «وكذلك يفعلون» هي من تمام كلامها. وقال آخرون بل هي تأكيد وتصديق من الله تعالى لكلامها السابق بهذه الكلمة، وعلى هذا الفهم تكون هذه الآية دليلاً على وجوب الإنصاف مع الخصم ولو كان كافرًا ووجوب أخذ الحق ممن جاء به أيًّا كان، إذ الباحث عن الحق كالباحث عن ضالته لا يبالي على يد مَن وجدها، وذلك لأن بلقيس كانت كافرة حينذاك.

٣٨ قال الله تعالى: **﴿وأبونا شيخ كبير﴾** [سورة القصص، الآية: ٢٣] في معرض قصة المرأتين اللتين سقىٰ لهما موسى ـ عليه السلام ـ ذهب بعض المفسرين إلى أن أبا المرأتين هو شعيب النبي ـ عليه السلام ـ، وقد حقق الإمام ابن تيمية في مجموعة الرسائل أن بين نبي الله موسى وشعيب عليهما السلام فرقًا زمنيًّا كبيرًا وأن أبا

المرأتين ليس هو شعيب النبي بل هو رجل صالح لعل اسمه كان شعيبًا، والله أعلم.

٣٩ قال الله تعالى: ﴿**فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارًا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين**﴾ [سورة القصص، الآية: ١٩]. الإسرائيلي الذي استنصر موسى ـ عليه السلام ـ للمرة الثانية هو الذي قال لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس وليس القبطي الذي همَّ موسى بقتله، لأن موسى لما همَّ بقتل القبطي ظن الإسرائيلي من جبنه أنه سيقتله فقال العبارة السابقة يدفع عن نفسه. تيسير العلي القدير (٣/ ٣٨٦).

٤٠ قال الله تعالى: ﴿.. **ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم**﴾ [سورة هود، الآية: ١١٨] الإشارة في «ولذلك» مختلف فيها، فقال ابن عباس وتلامذته من التابعين كمجاهد وغيره: الإشارة للرحمة. وقال الحسن البصري ومقاتل وعطاء: الإشارة للاختلاف، والله أعلم. القرطبي (٩/ ١١٥).

خامسا: لطائـف واستنبـاطـات

١ قال الله تعـالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ . أدخل الألف واللام على اسم «الصمد» ولم يدخلها على اسم «أحد» لأنه ليس في الموجودات ما يسمى أحدًا في الإثبات مفردًا غير مضاف إلا الله تعالى. قال أهل اللغة: تقول «لا أحد في الدار» ولا تقول: «فيهـا أحد» ولذا فلفظة «أحد» إذا تجردت عن النفي والإضافة وكانت مفردة فهي خاصة بالله تعالى. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١ / ٧٠).

٢ قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٠٣] فيه دليل على رؤية المؤمنـين ربهم يوم القيامـة ووجـه ذلـك: أن الإدراك أخص من الرؤية فما كل من رأى الشمس يكون قد أدركها ويشهـد لذلك قوله تعالى: ﴿فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنـا لمدركون﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٦١] فإذا تقرر هذا فإن «نفي الأخص يستلزم وجود أصل الأعم» فنفي الإدراك في الآية يستلزم وجود أصل الرؤية، إذ لا معنى لنفي الخاص مع انتفاء العام أصلاً. العقيدة الطحاوية.

٣ قال الله تعالى: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ [سورة النحل، الآية: ٤٠] ذكر القرطبي أن في هذه الآية دليلاً على أن كلام الله غير مخلوق وذلك لأن الله إذا أراد خلق شيء قال له «كن» فلو كان قوله «كن» مخلوقًا لاحتاج إلى قول ثانٍ يسبقه والثاني إلى ثالث وهكذا.

٤ قال الله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [سورة الشورى، الآية: ١١] هذه الآية دستور في باب الأسماء والصفات فأولها نفي للتمثيل والتشبيه والتكييف وآخرها إثبات صفات الكمال لله تعالى على الوجه اللائق به، وقد وفق الله الإمام مالكًا وغيره للإجابة على سؤال من سأل عن كيفية الاستواء فقال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» وهذا الجواب المسدد يسري على جميع الصفات، فالكيف مجهول أما المعنى والأثر فهما معلومان.

٥ قال الله تعالى: ﴿**ق. والقرآن المجيد**﴾، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ فهذه السورة مبنية على الحروف القافية من ذكر القرآن وذكر الخلق وتكرير القول ومراجعته مرارًا والقرب من ابن آدم وتلقي الملكين قول العبد وذكر الرقيب وذكر السائق والقرين والإلقاء في جهنم والتقديم وذكر المتقين وذكر القلب والقرون

والتنقيب في البلاد وتشقق الأرض وإلقاء الرواسي فيها وسوق النخل (الباسقات) والرزق وذكر القوم وحقوق الوعيد. البدائع (٣/١٧٤).

٦ قال الله تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٦] قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي تعليقًا على هذه الآية «قدم هنا الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله وفي ذلك إشارة لطيفة إلى وجوب تطهير القلوب أولاً ونزع ما فيها من الإيمان بالطاغوت حتى إذا فرغت وطهرت ملئت بالإيمان بالله وتشربت بذلك. قلت: وهذا من باب التخلية قبل التحلية.

٧ قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عَيْلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٨] مناسبة ذكر «إن خفتم عيلة» - أي فقرًا - في هذه الآية لأن المشركين كانوا يجلبون الأطعمة والتجارات في الموسم فخشي بعض المسلمين إن مُنع المشركون من المسجد الحرام أن يصيبه الفقر من جراء ذلك فطمأنهم الله تعالى بقوله: ﴿**فسوف يغنيكم الله من فضله**﴾ ثم قال: ﴿**إن شاء**﴾ لئلا يتكل المسلمون على وعد الله ويذروا العمل وليعلموا أن ذلك فضل محض من الله تعالى. القرطبي (٨/١٠٨).

٨ قال الله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٦٩] قال أبو عبدالله القرطبي: يقال إن من أعطي الحكمة والقرآن فقد أعطي أفضل ما أعطي من جمع علم الأولين من الصحف وغيرها لأنه قال لأولئك ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ وسمى هذا خيرًا كثيرًا لأن هذا هو جوامع الكلم، وقال بعض الحكماء: من أعطي العلم والقرآن ينبغي أن يعرف نفسه ولا يتواضع لأهل الدنيا لأجل دنياهم لأن الله تعالى قال عن الدنيا ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ وسمى العلم والقرآن خيرًا كثيرًا:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنَّسوا
محياه بالأطماع حتى تجهما

القرطبي (٣/٣٣١).

٩ أمر الله نبيه ﷺ بالحلف في ثلاثة مواضع من كتابه:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ويستنبئونك أحقٌّ هو قل إي وربي إنه لحقٌّ وما أنتم بمعجزين﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٣].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا

في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [سورة سبأ، الآية: ٣].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾** [سورة التغابن، الآية: ٧]. زاد المعاد، الجزء الأول.

[١٠] قال بعض المفسرين: «بشّر الله تعالى بنصر يوم بدر في القرآن المكي في مواضع منها:

١ ـ قوله تعالى: **﴿ولنذيقنهم من العذابِ الأدنى دون العذاب الأكبر لعَلّهم يرجعون﴾** [سورة السجدة، الآية: ٢١].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾** [سورة الدخان، الآية: ١٦].

٣ ـ قوله تعالى: **﴿سيهزم الجمع ويولّون الدُّبر﴾** [سورة القمر، الآية: ٤٥].

[١١] قوله تعالى: **﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾** [سورة الفتح، الآية: ٩]. جمع الله فيه الحقوق الثلاثة، الحق المختص بالله الذي لا يصلح لغيره وهو العبادة في قوله: **﴿وتسبحوه بكرة وأصيلاً﴾**. والحق المختص بالرسول ﷺ وهو التوقير والتعزير والحق المشترك وهو الإيمان بالله ورسوله. فوائد قرآنية.

١٢ قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدَّق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ [سورة الليل، الآية: ٦] جمعت أسباب نوال السعادة وهي ثلاثة: فعل المأمور واجتناب المحظور وتصديق خبر الله ورسوله. فوائد قرآنية.

١٣ قال الله تعالى على لسان يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ: ﴿فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شرٌّ مكانًا والله أعلم بما تصفون﴾ [سورة يوسف، الآية: ٧٧].

الكلمة التي أسرها يوسف في نفسه هي ﴿أنتم شر مكانًا والله أعلم بما تصفون﴾ فإنه قال ذلك في نفسه ولم يبده لإخوته، وهذا من باب الإضمار قبل الذكر وهو كثير وله شواهد كثيرة في القرآن والحديث واللغة. تيسير العلي القدير (٢/ ٤٩٤).

١٤ ذكر بعض المفسرين أن جبريل ـ عليه السلام ـ لم ينزل إلى السماء الدنيا بعد وفاة النبي ﷺ، والدليل بخلاف ذلك، قال الله تعالى في شأن ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكةُ والروح فيها﴾.

١٥ لم يذكر الأذان في كتاب الله غير مرة واحدة هي قوله تعالى: ﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوًا﴾ [سورة سورة المائدة، الآية: ٥٨].

١٦ قال الله تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عند الله مسؤولاً**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٦] كثيراً ما يقدم السمع على البصر في القرآن.. قيل بأن السمع أشرف من البصر واستؤنس لذلك بأن الله تعالى لم يرسل رسولاً أصم وقد وجد من الرسل من هو أعمى العين.

١٧ قال الله تعالى: ﴿**فقال إني أحببت حُبَّ الخير عن ذكر ربي**﴾ [سورة ص، الآية: ٣٢] الخير هنا هو الخيل وقد ارتبط الخير بالخيل كثيراً ففي الحديث: «**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**» قال الفراء: الخير والخيل في كلام العرب واحد. وقد غيّر النبي ﷺ اسم الصحابي زيد الخيل إلى زيد الخير.

١٨ ذكر بعض المفسرين أن الخضر ـ عليه السلام ـ كان في غاية الأدب مع الله تعالى حينما عبّر عن عيب السفينة بقوله: ﴿**فأردت أن أعيبها**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٩] فأسند الإرادة إلى نفسه لأن ظاهر عمله شر محض وحينما عبّر عن قتل الغلام قال: ﴿**فأردنا أن يبدلهما**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨١] فأسند الإرادة إلى ربه ونفسه (مع الفارق بين الإرادتين) وذلك لأن ظاهر عمله هنا يحتمل الخير والشر، وحينما عبّر عن إقامة الجدار قال: ﴿**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٢] فأسند الإرادة إلى ربه لأن

ظاهر عمله خير محض، مع أن جميع أعماله كانت بوحي من الله ﴿وما فعلته عن أمري﴾ وكانت في حقيقتها خيرًا محضًا.

١٩ قال الله تعالى ـ في سورة الشعراء ـ: ﴿**كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون**﴾ [سورة الشعراء، الآيتان: ١٧٦، ١٧٧] مع قوله في شأن باقي الرسل قبله من السورة نفسها: ﴿**إذ قال لهم أخوهم..**﴾ ولم يذكر كلمة «أخوهم» في شأن شعيب ـ عليه السلام ـ، وأجيب عن ذلك بأجوبة منها:

* أن شعيبًا أرسل إلى طائفتين إحداهما مدين وهم عشيرته والأخرى أصحاب الأيكة وليس منهم.
* أن أصحاب الأيكة هم قوم مدين ولكن الأيكة شجرة يعبدونها من دون الله، فلما نسبهم إليها نزه شعيبًا عن أخوتهم في حال نسبتهم إلى الشرك. والله أعلم.

٢٠ احتج إبليس ـ لعنه الله ـ لعدم سجوده لآدم ـ عليه السلام ـ بقوله: ﴿**أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٢]. واحتجاجه هذا فاسد من وجهين **أحدهما**: أن النار ليست خيرًا من الطين. **وثانيهما**: أنه لو صح الأول فإن خيرية الأصل لا يلزم منها خيرية الفرع ﴿**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**﴾.

٢١ قال الله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾. تجسد هذه الآية غاية الأدب مع الله حيث قال «غير المغضوب» ولم يقل «غير الذين غضبت عليهم» كما قال: ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ لاختلاف اللفظين في المعنى. ومثل ذلك قوله تعالى على لسان الجن: ﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا﴾ [سورة الجن، الآية: ١٠] فبنى الفعل للمجهول عند إرادة الشر وبناه للمعلوم عند إرادة الخير على الرغم من أن الله تعالى هو الذي أراد الخير والشر إرادة كونية قدرية. ومثله أيضًا قول الله تعالى على لسان الخليل إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٧٩] فأسند المرض إلى نفسه. ومثله أيضًا قول الخضر ـ عليه السلام ـ: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما﴾ [سورة الكهف، الآية: ٨٢] بعد قوله: ﴿فأردت أن أعيبها﴾ [سورة الكهف، الآية: ٧٩].

٢٢ قال الله تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٨٩]. وقال: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٩]. وقال: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال﴾ [سورة الأنفال، الآية: ١]. وقال: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح﴾ [سورة

الإسراء، الآية: ٨٥]. وهكذا حينما تأتي كلمة «يسألونك» يأتي الجواب مصدّرًا بكلمة «قل» إلا في موضع واحد فقد اقترن الجواب بالفاء وهو قوله تعالى: ﴿**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا**﴾ [سورة طه، الآية: ١٠٥]. ذكر القرطبي ـ رحمه الله ـ أن الأسئلة السابقة قد سئلها النبي ﷺ. أما آية الجبال فإن السؤال لم يرد بعد ولذلك جيء بالفاء لتفيد تضمّن الآية معنى الشرط، أي إن سألوك فقل كذا. قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: إن ما ذكره القرطبي يحتاج إلى دليل!.

٢٣ قال الله تعالى عن نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**ويكلم الناس في المهد وكهلاً**﴾ [سورة سورة آل عمران، الآية: ٤٦]، قد يشكل ذكر تكليم عيسى ـ عليه السلام ـ الناس كهلاً لأنه أمر لا غرابة فيه فما وجه النص عليه. وقد أجيب عن ذلك بأن الآية أسلوب احتراز أي أن الله تعالى لما ذكر أن عيسى يكلم الناس في المهد أتبعه بأن سيظل يكلم الناس حتى يكون كهلاً وأن عيسى ـ عليه السلام ـ لا ينطبق عليه ما ينطبق على النابغين من الأطفال إذ أنهم في العادة لا يعيشون، وقد حصل ذلك فدل على أنه مزية وآية وليس عاهة ومرضًا.

٢٤ قال الله تعالى: ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٥]. فائدة قوله: «إذا كلتم» تخصيص الأمر بالإيفاء إذا كال المسلم غيره لا إذا اكتال من غيره، فإنه حينئذٍ مأمور بالترك والتسامح، ويتضح هذا المعنى عند تأمل قوله تعالى: ﴿ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾ [سورة المطففين، الآية: ١].

٢٥ قال الله تعالى: ﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٤٧] ذكر الرحمة والمحل محل تهديد ووعيد فيه نهي للمكذبين عن الاغترار بسعة رحمة الله وذلك أبلغ في التهديد والتخويف.

٢٦ قال الله تعالى: ﴿وإذْ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤٤]. فائدة تقليل الكفار في أعين المؤمنين هي زوال الرعب عن قلوبهم وأما فائدة تقليل المؤمنين في أعين الكفار فلكي لا يستعدوا لهم فتبغتهم كثرة المؤمنين.

٢٧ قال الله تعالى: ﴿لقد حقَّ القول على أكثرهم﴾ [سورة يس، الآية: ١٤] وقال: ﴿ويحقُّ القول على الكافرين﴾ [سورة يس،

الآية: ٧٠]. وقال: ﴿**فحقَّ علينا قول ربنا إنا لذائقون**﴾ [سورة الصافات، الآية: ٣١]. وقال: ﴿**وحقَّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس**﴾ [سورة فصلت، الآية: ٢٥]. ذكر العلامة الشنقيطي ـ رحمه الله ـ أن المراد بالقول في هذه الآيات ونحوها هو قوله تعالى: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾.

٢٨ قال الله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حجَّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٨] ومن ظاهر هذه الآية فهم عروة بن الزبير ـ أحد الفقهاء السبعة رضي الله عنه ـ أنه لا حرج على المرء ألا يطوف بالصفا والمروة فأخبرته عائشة الصديقة ـ رضي الله عنها ـ أن هذه الآية نزلت في الأنصار وكانوا قبل أن يسلموا يهلون لأصنام لهم كانت على الصفا والمروة فلما أسلموا سألوا الرسول ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة فأنزل الله الآية.

٢٩ عاتب الله تعالى رسوله ﷺ فيما أخطأ فيه مما لم يوح إليه به شيء وكان هذا العتاب على ضربين عتاب شديد وعتاب لين وكان من الضرب الأول قوله تعالى: ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعلّه يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾. وكان من الضرب الثاني قوله تعالى: ﴿**عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٣].

٣٠ قال الله تعالى: ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾ [سورة الملك، الآية:] وقال: ﴿**إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع**﴾ انظر كيف حث تعالى في الآية الأولى على طلب الرزق والمعاش بلفظ «امشوا» وكيف حث على طلب الأجر والدار الآخرة بلفظ «اسعوا» وتأمل كيف عكس كثير من الناس اليوم مراد الله تعالى في واقعهم والله المستعان.

٣١ قال الله تعالى: ﴿**يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون**﴾[سورة التوبة، الآية: ٨]. والمقصود المشركون، ومعلوم أن كل مشرك فاسق فما وجه قوله: «وأكثرهم»؟. وأجاب الشنقيطي ـ رحمه الله ـ عن ذلك بأن المراد بالفسق في الآية نوع خاص منه وهو فسق نقض العهود، ولا يلزم أن جميع المشركين متصفون به.

٣٢ قال الله تعالى: ﴿**كذبت قوم نوحٍ المرسلين**﴾ [سورة الشعراء، الآية: ١٠٥] صحّ الجمع مع أن المكذب واحد لأن دعوة المرسلين واحدة وهي التوحيد فمن كذب أحدهم فقد كذب المرسلين.

٣٣ قال الله تعالى: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن

يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٨٨] وقال: ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾** [سورة الرحمن، الآية: ٣٣]. قدَّم الإنس في الأولى لأنهم أفصح وأبلغ من غيرهم ولاسيما العرب منهم **فقدّمهم** إمعانًا في التحدي، وأما في الثانية فقدّم الجن لأنهم أقدر على الصعود إلى السماء فناسب تقديمهم إمعانًا في التحدي أيضًا.

٣٤ قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** [سورة الأنفال، الآية: ٧٢]. وقال: ﴿**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾** [سورة التوبة، الآية: ٢٠]. فقدم المال في الأولى وأخره في الثانية. قال ابن جماعة في جوابه: «إن آية الأنفال تقدمها ذكر الغنائم واختياره أخذ الفداء من الأسرى ببدر فناسب تقديم إنفاق المال، وآية التوبة تقدمها افتخارهم بعمارة المسجد الحرام على المجاهدين فناسب تقديم الجهاد في سبيل الله على المال والله أعلم.

كشف المعاني/ ١٩٢

٣٥ قال الله تعالى: ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن**

كنتم مؤمنين﴾ [سورة، الأنفال، الآية: ١]. توسيط الأمر بإصلاح ذات البـين بين الأمـر بالتقوى والأمر بطاعة الله ورسوله لإظهار كمال العناية بشأن صلاح ذات البين.

والبين في اللغة من ألفاظ الأضداد فمعناه الوصل والفراق وقد جمع هذين المعنيين الشاعر حين قال:

فوالله لولا الـبـين لم يكـن الهـوى
ولـولا الهـوى ما حنَّ للبـين آلف

فالأولى فراق والثانية وصل.

[٣٦] قال الله تعالى: **﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمؤ فيها ولا تضحى﴾** [سورة طه، الآيتان: ١١٨، ١١٩] جمع بين الجوع والعري ثم الظمأ والضحو ولم يجمع بين الجوع والظمأ.. قيل لأن الجوع خلاء الباطن والعري خلاء الظاهر فجمع بينهما، والظمأ حرارة الباطن والضحو حرارة الظاهر فجمع بينهما ليكون ذلك أبلغ والله أعلم. فوائد من مشكل القرآن/ ١٨٣.

[٣٧] قال الله تعالى: **﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾** [سورة البقرة، الآية: ٢٢٩] وقـال: **﴿تلك حدود الله فلا تقـربـوها﴾** [سورة البقرة، الآية: ١٨٧] والفرق أن الأولى سيقت في معرض ذكر أوامر الله وما أباحه لعباده فالعبد مأمور بعدم مجاوزة ما أحله الله وأمر به وأما

الأخرى فسيقت في معرض ذكر نواهي الله فالعبد مأمور بعدم قربانها لأن قربانها ذريعة إلى الوقوع فيها، فتأمل ذلك.

٣٨ قال الله تعالى: ﴿**وإن كنتم مرضى أو على سفر**﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٣]. المرض في كتاب الله أطلق لثلاثة معان هي مرض البدن كالآية السابقة ومرض القلب بالشهوة كقوله تعالى: ﴿**ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٢] ومرض القلب بالشبهة كقوله تعالى: ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم**﴾
[سورة التوبة، الآية: ١٢٥].

٣٩ ليس في كتاب الله تعالى آية ناسخة لآية بعدها في ترتيب المصحف إلا في موضعين، الأول قوله تعالى: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٤] ناسخ لآية: ﴿**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصية لأزواجهم متاعًا إلى الحول غير إخراج**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٤٠] رغم أن الناسخة قبل المنسوخة في المصحف. والموضع الثاني آية: ﴿**يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٠] ناسخة لآية: ﴿**لا يحل لك النساء من بعد**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٥٢] ـ على قول ـ وهي قبلها في المصحف. أضواء البيان.

٤٠ قال الله تعالى: ﴿**ولا تلمزوا أنفسكم**﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١١] أي لا يلمز بعضكم بعضًا، ويأتي التعبير عن المجتمع المسلم في القرآن كالنفس الواحدة كقوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ [سورة النساء، الآية: ٢٩] وذلك لما يجب فيه من التماسك والمحبة، ألست ترى قول الله تعالى في آيات القصاص ﴿**فمن عُفي له من أخيه شيء**﴾[سورة البقرة، الآية: ٧٨] فأثبت الوشيجة العقدية وأبرزها وهي الأخوة للتذكير بهذا التماسك المطلوب.

وقد ذكَّر بهذه الرابطة أيضًا في معرض ذكر المتقاتلين من المؤمنين ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**. . ﴾ الآية [سورة الحجرات، الآية: ٩] ثم قال بعدها: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠] وفي ذلك ذكرى لمن نصب ألوية البراءة لإخوانه لمتعلقات باهتة كولاء ضيّق أو اختلاف في وجهة نظر أو نحو ذلك.

٤١ قال الله تعالى: ﴿**أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًّا وأحسن مقيلاً**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٤] ذكر ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وابن جبير ـ استنادًا إلى هذه الآية ـ أن الحساب ينقضي في نصف النهار، والظاهر أنه يوم يقصر على المؤمنين ويطول على الكافرين جدًّا ﴿**وكان يومًا على الكافرين عسيراً**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢٦] ومعلوم أن السرور تقصر به الأيام والكروب والهموم سبب لطوله كما قال الشاعر:

ليــلي وليــلى نفى نومي اختــلافهــا
في الطُّول والطَّول، طوبى لي لو اعتدلا
يجود بالــطُّول ليــلي كلما بخــلت
بالــطَّول ليــلى وإن جادت به بخــلا

٤٢ قال الله تعالى: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ ذكر الله تعالى ابن أم مكتوم بآفته التي ربما كرهها اعتذارًا له في مقاطعته الرسول ﷺ وهو يخاطب صناديد قريش، والله أعلم.

٤٣ قال الله تعـالى: ﴿وإن يك صادقًـا يصبكم بعضُ الـذي يعدكم﴾ [سورة غافر، الآية: ٢٨] ولم يقل كل الذي يعدكم، والأقرب ـ والله أعلم ـ أن البعض المذكور في الآية هو العذاب الدنيوي لأنه وعدهم عذابًا دنيويًا وآخر أخرويًا، ولعل ذكر العذاب الدنيوي الذي يخشونه أدعى لتخويفهم ونصيحتهم.

٤٤ أصول الطب ثلاثة حفظ الصحة والحمية واستفراغ المادة المضرة وقد جمعها الله تعالى لعباده في كتابه في ثلاث آيات منه فقال في آية الصوم ﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٤] فأباح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر حفظًا لصحته وقوته. وقال في آية الوضوء ﴿وإن كنتم

مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدًا طيبًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦] فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية له. وقال في آية الحج: **﴿فمن كان منكم مريضًا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك﴾** [سورة البقرة، الآية: ١٩٦] فأباح لمن كان به أذًى من رأسه أن يحلق رأسه في الإحرام استفراغًا للمادة المضرة. زاد المعاد، ٣/٦.

٤٥ قال الله تعالى: **﴿يصلحْ لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾** [سورة الأحزاب، الآية: ٧١] وقال على لسان دعاة الجن **﴿يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم﴾** [سورة الأحقاف، الآية: ٣١]. كل آية فيها **﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾** فالخطاب فيها للمؤمنين وكل آيةٍ فيها **﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾** فالخطاب فيها للكافرين.. فتأمل.

٤٦ قال الله تعالى في وصف الأصنام: **﴿أمواتٌ غير أحياء﴾** [سورة النحل، الآية: ٢١] قوله «غير أحياء» ليست من قبيل تحصيل الحاصل وقيل في توجيهها أقوال منها: أنها ـ أي الأصنام ـ أموات لا يعقب موتها حياة ألبتة. ومنها: أن الله أراد أن تلك الأصنام ميتة في الحال لا أنها ستموت كما في قوله: **﴿إنك ميت﴾** [سورة الزمر، الآية: ٣٠] أي ستموت. الأنموذج الجليل.

٤٧ قال الله تعالى: ﴿**وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذكر إنك لمجنون**﴾ [سورة الحجر، الآية: ١٦].

ـ كيف اعترفوا بنبوته ثم وصفوه بالجنون؟

ـ والجواب: إنما قالوا ذلك تهكمًا واستهزاءً كما قال فرعون: ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢٧] وكما قال قوم شعيب له: ﴿**إنك لأنت الحليم الرشيد**﴾ [سورة هود، الآية: ٨٧].

وقيل: إن الآية فيها تقدير «يا أيها الذي يدّعي أنه نزل عليه الذكر» وعليه فلا إشكال.

٤٨ قال الله تعالى: ﴿**اعملوا ما شئتم**﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٠] والأمر يقتضي الوجوب، فكيف يؤمر الإنسان بعمل ما يشاء؟ وتوجيه ذلك أن هذه الآية سيقت في معرض التهديد والوعيد كقوله تعالى: ﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٩] وقوله: ﴿**وقيل اقعدوا مع القاعدين**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٦].

٤٩ قال الله تعالى: ﴿**وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن**﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٠] ولم يذكر نعمته عليه في إخراجه من الجبِّ لئلا يكون في ذلك توبيخ لإخوته ولكون مصيبة السجن أعظم عنده.

٥٠ قال الله تعالى: ﴿**فمن عفا وأصلح فأجره على الله**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٤٠] اشترط الإصلاح في العفو لأهميته، فلا يُحمد العفو إلا إذا أدى إلى الصلاح والأمن، فليس العفو عن سفاك ـ مثلاً ـ محمودًا إذا كان العفو مدعاة لإصراره وتماديه ولذا فإن العفو محمود إذا لم يقتض فسادًا أو تماديًا في الشر.

٥١ قال الله تعالى: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد**﴾ [سورة ق، الآية: ٢٧] قال ابن القيم: فإن قيل إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه فما وجه دخول أداة «أو» في قوله: «أو ألقى السمع» والموضع موضع واو الجمع لا موضع أو التي هي لأحد الشيئين؟ قيل: هذا سؤال جيد والجواب عنه: أن يقال خرج الكلام بأو باعتبار حال المخاطب المدعو فإن من الناس من يكون حي القلب واعيه تام الفطرة فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دلّه قلبه وعقله على صحة القرآن.. ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد واعي القلب كامل الحياة فيحتاج إلى شاهد يميّز له بين الحق والباطل. الفوائد

٥٢ قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ [سورة النساء، الآية: ٥٩] **فجعل له طاعة مطلقة ولرسوله ﷺ طاعة مطلقة ولأولي الأمر طاعة تابعة لطاعة الله وطاعة**

رسوله إذ أن طاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء تكون فيما لا مخالفة فيه لأمر الله ورسوله، ذكر معناه ابن القيم، رحمه الله.

٥٣ قال الله تعالى: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩] ثم قال في نهاية هذه الآية بعد ذكر بعض أوصاف الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ: ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩]. قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «وهذه الآية دليل على أن من أبغض الصحابة فهو كافر» فهل يعي الرافضة والحرورية ذلك؟

٥٤ قال الله تعالى على لسان صاحبي يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿**نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين**﴾ [سورة يوسف، الآية: ٣٦] قال بعض أهل العلم: تبيَّنوا إحسانه من خدمته أهل السجن.

قلت: وهذا شأن الأنبياء فهم أهل التواضع ولين الجانب وهم أبعد الخلق عن الكبرياء رداء الرحمن، وقد أعجبني قول من قال:

يا مدعي الكبر إعجابًا بصورته
انظر خلاءك إن النتن تثريب
لو فكر الناس ماذا في بطونهم
ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة
وإنه بأذى الآفات مضروبُ
أنف يسيل وأذن ريحها سهك
والعين مرمصة والثغر ملعوبُ
ياابن التراب ومأكول التراب غدًا
أقصر فإنك مأكولٌ ومشروبُ

٥٥ قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: «ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والمكر والنكث» وقد أخذ ذلك من الآيات الكريمات التاليات: ﴿**يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم**﴾ [سورة يونس، الآية: ٢٣] ﴿**ولا يحيقُ المكر السيّيء إلا بأهله**﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٤٣] ﴿**فمن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾ [سورة الفتح، الآية: ١٠].

٥٦ قال علي رضي الله عنه: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت الرسول ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت الآية ولم يعمل بها سواي. ثم تلا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة**﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٢].

٥٧ قال الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ [سورة يس، الآية: ٦٩] نفى الله تعالى هنا أن يكون الرسول ﷺ شاعرًا أو يكون القرآن شعرًا رغم أنه ورد على لسان الرسول قوله:

هل أنت إلا أصبع دميتِ وفي سبيل الله ما لقيت

وورد في القرآن آيات كثيرة نحو:

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقوله:

وجفان كالجواب وقدورٍ راسيات

إلا أن ذلك كله ليس بشعر لأنه لم يقصد به الشعر، فحد الشعر هو الكلام الموزون المقفى المقصود به الشعر، وكثيرًا ما يقع في كلام الناس على وزن الشعر ولا يعد شعرًا لخلوه من القصد.

وأما الرسول ﷺ فلا يتأتى له الشعر حيث تمثل مرة ببيت طرفة المشهور:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فقال (ويأتيك من لم تزود بالأخبار).

وأنشد أيضًا: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهيًا. فقال أبوبكر: يا رسول الله إنما قال الشاعر: كفى الشيب والإسلام

للمرء ناهيًا، ثم قال: أشهد أنك رسول الله، يقول الله عز وجل: ﴿**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**﴾. فتح القدير (٤/ ٣٧٩).

٥٨ قال الله تعالى: ﴿**وهو الغفور الرحيم**﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٧] لم يرد هذان الاسمان مقترنين إلا بتقديم الغفور على الرحيم، قال السهيلي: لأن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة. إلا في موضع واحد وهو الآية الثانية من سورة سبأ، وقد علله ابن القيم بأن بداية الآية ذكر للعلم فحسن ذكر الرحيم بعده ليطابق قوله: ﴿**ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما**﴾.

٥٩ ليس في القرآن كلام مركب غير عربي بل فيه أسماء أعلام أعجمية كإسرائيل وإبراهيم وأما وجود مفردات غير عربية كقسورة وناشئة ونحوها فقد اختلف في ذلك العلماء وعامة أقوالهم تعود إلى أن هذه الكلمات أعجمية ثم عربت ـ كما ذكر ذلك ابن عطية ـ أو أن أصولها متفق عليها بين العرب والعجم، وبالجملة فالقرآن عربي مبين والرسول ﷺ خاطب قومه بلسانهم. القرطبي (١/ ٦٨).

٦٠ المشهور أن أرجى آية في كتاب الله هي قوله تعالى: ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله..**﴾ الآية [سورة الزمر، الآية: ٥٣] والظاهر أن أرجى آية هي قوله تعالى: ﴿**ثم**

أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٢] فجعل الظالم لنفسه من جملة العباد المصطفين، والله أعلم.

[٦١] كل كلمة في كتاب الله تعالى هي في غاية الفصاحة والحسن والعذوبة، وبذا علَّل ابن القيم رحمه الله مجيء السموات مجموعة ومفردة وعدم مجيء الأرض إلا مفردة لأن أراضي وأرض وآراض وأروض كلها لا يأذن لها السمع إلا على كره، ولما أراد الله تعالى ذكر الأرض مجموعة جاء بثلاثة ألفاظ في قوله: ﴿خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ [سورة الطلاق، الآية: ١٢].

واستطرادًا أقول: إن العرب تكره الغريب النافر من الألفاظ بل لا تكاد تفقه معناه، قال أبوالهيثم: اعتلت أم الهيثم الأعرابية فزارها أبوعبيدة وقال لها: عم كانت علتك؟ فقالت: كنت وحمى سَدِكة فشهدت مأدبة فأكلت جُبْجُبَة من صَفيفٍ هِلَّعة فاعترتني زُلَّخة. فقال لها إمام العربية أبوعبيدة: ما تقولين يا أم الهيثم؟ فقالت: أو للناس كلامان؟. لسان العرب (٣/٢٢).

ومن ذلك أن أحد الفضلاء قرأ ديوانًا للشاعر صفي الدين الحلي فقال: لا عيب فيه غير أنه خالٍ من الألفاظ الغريبة فكتب إليه الحلي قصيدة منها:

إنما الحيزبون والدردبيس
الطخا والنقاخ والعلطبيسُ

والغطاريس والشقحطب والصقب
والحربصيص والعيطموس
والحراجيج والعفنقس والعفلق
والطرفسان والعسطوس
لغة تنفر المسامع منها
حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافي الوحـ
شي منها ويترك المأنوس
إن قولي هذا كثيب قديم
هو قولي عقنقل قدموس
إن خير الألفاظ ما طرب السامع
منه وطاب فيه الجليس
إنما هذه القلوب حديد
ولذيذ الألفاظ مغناطيس

قول على قول (٢/ ٩).
راجع معاني هذه الكلمات العربية المهجورة في لسان العرب.

٦٢ دل قوله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ [سورة مريم، الآية: ٤٩] على أن اعتزال الكفار والأوثان والبراءة منهم من فوائده تفضل الله تعالى بالذرية

الطيبة الصالحة على فاعله. ذكره العلامة الشنقيطي (٢/٤٨٥).

٦٣ دلّ قوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٣٣] على وجود أمانين من التعذيب أولهما وجود الرسول ﷺ وقد انقضى ذلك الأمان بموته ﷺ أما الآخر فهو الاستغفار وهو باقٍ إلى قيام الساعة.

٦٤ آيات كثيرة في كتاب الله تدل على أن إنزال التوراة كان بعد إهلاك فرعون من أوضحها دلالة قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون**﴾ [سورة القصص، الآية: ٤٣].

٦٥ قال الله تعالى: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٣] بهذه الآية استدل ابن القيم ـ رحمه ـ على أن القول على الله بلا علم قرين الشرك بل هو أعظم منه، لأنه يرى أن الآثام مرتبة في الآية من الأسهل إلى الأشد. أعلام الموقعين.

٦٦ قال الله تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ [سورة يونس، الآية: ٨٣] ذكر الذرية هنا فيه دلالة على أن الشباب هم حملة الدعوات وبهم يقوم الدين، أما الملأ والعلية فهم ـ في الغالب ـ مستكبرون.

٦٧ قال الله تعالى: ﴿وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما﴾[سورة يونس، الآيتان: ٨٨، ٨٩]. قال بعض الفقهاء: قوله: «دعوتكما» مع أن الداعي موسى وحده لأن هارون كان يؤمِّن على دعاء أخيه والمؤمِّن في حكم الداعي.

٦٨ أطلق القرآن الكريم لفظ الأب على العم وذلك في قوله تعالى: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰهًا واحدًا ونحن له مسلمون﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٣٣].

٦٩ استدل بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿ويُطاف عليهم بآنيةٍ من فضة وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة قدورها تقديرًا﴾[سورة الإنسان، الآيتان: ١٥، ١٦] على أن غاية إكرام الضيف في الإطعام أن يطعم كفايته من غير نقص ولا زيادة وشاهد ذلك ﴿قدروها

تقديرًا﴾ أي بحسب حاجتهم. والقوارير جمع قارورة وهي كل ما قر فيه الشراب، وقيل لا يكون إلا من الزجاج خاصة.

٧٠ استدل بعض العلماء على عدم طهارة خمر الدنيا بقوله تعالى: **﴿وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾** [سورة الإنسان، الآية: ٢١] وذلك بدلالة مفهوم المخالفة.

٧١ بقوله تعالى عن المسجد الحرام: **﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** [سورة الحج، الآية: ٢٥] استدل بعض العلماء على قولهم: إن الله لم يؤاخذ أحدًا من خلقه على الهم بالمعصية إلا في المسجد الحرام.

٧٢ استدل بقوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾** [سورة البقرة، الآية: ٦٧] على أن الهزل في مقام الجد من الجهل.

٧٣ استدل بقوله تعالى: **﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئًا﴾** [سورة النحل، الآية: ٧٨] على أن الأصل في الإنسان الجهل.

٧٤ استدل بقوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم**﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٨٥]. على أن المحب لا يعذب حبيبه.

٧٥ قال تعالى مخبراً عن اليهود: ﴿**ولتجدنهم أحرص الناس على حياة**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٩٦] تنكير الحياة في هذه الآية دليل على حرص اليهود على الحياة مهما كانت ذليلة، فالمهم عندهم أي نوع من الحياة فحسب.

٧٦ قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾ [سورة السجدة، الآية: ٢٤] قال بعض السلف: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بهذين الأمرين حيث قال في آخر سورة الروم ﴿**فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**﴾ [سورة الروم، الآية: ٦٠].

ولما كانت أمراض القلوب مصدرها الشبهات والشهوات وكان اليقين علاج الشبهات والصبر علاج الشهوات، كان من اتصف بهذين الخلقين قد سد منافذ الشر كلها وأتى الله بقلب سليم فكان أهلاً للإمامة في الدين.

٧٧ قال الله تعالى: ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: ١١٠] قررت هذه الآية شرطي قبول العبادة وهما الإخلاص والمتابعة، كما قرَّره قوله تعالى: ﴿**ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور**﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٢] لأن إسلام الوجه لله هو الإخلاص والإحسان هو المتابعة.

٧٨ قال الله تعالى: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا**﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ١٥] وقال أيضًا: ﴿**ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهن وفصاله في عامين**﴾ [سورة لقمان، الآية: ١٤] استخلص المفسرون من هاتين الآيتين أن أقل مدة للحمل ستة أشهر، وهذا ما يعرف بمفهوم الإشارة في دلالة المفهوم من علم الأصول.

٧٩ قال الله تعالى: ﴿**فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب**﴾ [سورة هود، الآية: ٧١] هذه الآية من أقوى أدلة القائلين بأن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق وتفصيل ذلك أنه لو كان الذبيح إسحاق ـ وقد أمر إبراهيم بذبحه صغيرًا ـ لم يكن للتبشير بيعقوب معنى لأن يعقوب ولد إسحاق فالبشارة في الآية دالة على أن إسحاق سيعيش حتى يولد له.

٨٠ قال الله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٥١] وقال أيضًا: ﴿**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣١] الإملاق هو الفقر، ففي آية الأنعام الآباء في حالة الفقر فنهاهم عن قتل أولادهم وطمأنهم بضمير المخاطب فقال: «نرزقكم» ثم ثنى بالأولاد فقال «وإياهم» أما في آية الإسراء فالآباء يخشون الفقر وليس واقعًا بهم فضمن الله رزق الأولاد وثنى بالآباء.

٨١ إذا ذكرت السموات والأرض في القرآن قدمت السموات على الأرض إلا في خمسة مواضع، هي قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٥] وقوله: ﴿**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء**﴾ [سورة يونس، الآية: ٦١] وقوله: ﴿**وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء**﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٨] وقوله: ﴿**تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلى**﴾ [سورة طه، الآية: ٤] وقوله: ﴿**وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ٢٢].

وقد نظمها الإمام السخاوي بقوله:

وجـاء ذكـر الأرض من قبـل السـما
في خمسـة حقـقـهـا من فهـما
من بعـد لا يخفـى عليـه مرة
وبـعـد لا يعـزب عنـه ذرة
وبـعـد ممن خلق اسـتـبـينـا
وبـعـد ما أنـتـم بمـعـجـزينـا
في يونس وآل عمـران وفي
طه وإبـراهـيـم قبـل فاكـتـفـي
والـعـنـكـبـوت جاء فيهـا الخـامس
به انـجـلت للقـارىء الحـنـادس

٨٢ آيتان في كتاب الله تعالى فقط احتوت كل منهما على حروف اللغة العربية كلها وهما قوله تعالى: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسًا يغشى طائفةً منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحقِّ ظنَّ الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيءُ ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٤] وقوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على

الكفار رحماءُ بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩].

٨٣ سورة في كتاب الله تعالى ذكر في كل آية من آياتها لفظ الجلالة «الله» هي سورة المجادلة.

٨٤ قال الله تعالى: ﴿فأخذتهم الرجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩١] باستقراء الآيات المشابهة لهذه الآية وجد أنه إذا ذكرت الرجفة فيتبعها (دارهم) وإذا ذكرت الصيحة فيتبعها (ديارهم).

٨٥ ليس في كتاب الله حاء بعد حاء إلا في موضعين:

- ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٥].
- ﴿لا أبرح حتى أبلغ﴾ [سورة الكهف، الآية: ٦٠].

٨٦ الآيات المبدوءة بحرف الشين أربع في كتاب الله : ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٨٥]، ﴿**شهد الله**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٨]، ﴿**شاكرًا لأنْعُمه**﴾ [سورة النحل، الآية: ١٢١]، ﴿**شرع لكم من الدين..**﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣٠]. ولم ينته بحرف الشين من الآيات إلا ثنتان ﴿**كالعهن المنفوش**﴾ [سورة القارعة، الآية: ٥]، و ﴿**لإيلاف قريش**﴾ [سورة قريش، الآية: ١].

٨٧ قال الزركشي: جمع الحجاج الحسن البصري وأبا العالية ونصر بن عاصم وعاصم الجحدري ومالك بن دينار ـ رحمة الله عليهم ـ وقال: عدوا حروف القرآن، فبقوا أربعة أشهر يعدون بالشعير فأجمعوا أن كلماته **٧٧ ٤٣٩** كلمة وحروفه **٣٢٣٠١٥** حرفًا.

٨٨ أطول كلمة في كتاب الله هي ﴿**فأسقيناكموه**﴾ [سورة الحجر، الآية: ٢٢] أحد عشر حرفًا، ثم ﴿**اقترفتموها**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٤] و﴿**أنلزمكموها**﴾ [سورة هود، الآية: ٢٨] و﴿**المستضعفين**﴾ [سورة النساء، الآية: ٧٠] عشرة أحرف.

٨٩ أكثر ما اجتمع في كتاب الله من الحروف المتحركة المتتالية ثمانية وذلك في موضع واحد هو قوله تعالى: ﴿**رأيت أحد عشر كوكبًا**﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤] فبين ياء رأيت وواو كوكبًا ثمانية أحرف متحركة.

٩٠ آية في القرآن بها ستة عشر ميمًا وهي: ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منا..**﴾ [سورة هود، الآية: ٤٨].

٩١ قد يكون للسورة اسم واحد أو اسمان كسورة النحل تسمى النِّعم وسورة الجاثية تسمى الشريعة وسورة محمد ﷺ تسمى القتال، وقد يكون للسورة ثلاثة أسماء كالمائدة فهي تسمى العقود والمنقذة. وقد يكون لها أكثر من ذلك كسورة براءة وهي التوبة والفاضحة والحافزة والمشققة والمبعثرة. وأما سورة الفاتحة فذكروا لها بضعة وعشرين اسمًا.

٩٢ قال الله تعالى: ﴿**والسماءِ ذاتِ الحُبُك**﴾ [سورة الذاريات، الآية: ٧] قرئت الحبك بسبع قراءات مختلفة هي ضم الحاء والباء ثم فتحهما ثم كسرهما ثم ضم الحاء وسكون الباء ثم ضم الحاء وفتح الباء ثم كسر الحاء وضم الباء ثم كسر الحاء وسكون الباء. معترك الأقران (٣/ ٤٦٠) نقلاً عن الرعيني في تحفة الأقران.

٩٣ الـراء السـاكنة إذا جاءت بعد همزة وصل فحقها التفخيم مطلقًا كقوله تعالى: ﴿**ارجع إليهم**﴾ [سورة النحل، الآية: ٧] ﴿**إلا لمن ارتضى**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨] ﴿**إن ارتبتم**﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٦].

٩٤ مواضـع السكتـات اللطيفـة في القـرآن الكريم على رواية حفص عن عاصم هي:

ـ بين (عوجا) و(قيما) من قوله تعالى: ﴿**ولم يجعل له عوجًا قيمًا لينذر بأسًا شديدًا**﴾ [سورة الكهف، الآيتان: ١، ٢].

ـ وبين (مرقدنا) و(هذا) من قوله تعالى: ﴿**من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن**﴾ [سورة يس، الآية: ٥٢] وعلى النون من قوله: ﴿**وقيل من راق**﴾ [سورة القيامة، الآية: ٢٧]. وعلى اللام الساكنة من قوله: ﴿**كلا بل ران على قلوبهم**﴾ [سورة المطففين، الآية: ٤].

وجاز السكت عنه في موضعين آخرين.

٩٥ الراء الساكنة إذا جاءت بعد ياء ساكنة فحقها الترقيق مطلقًا مثل كلمة (خير)، (خبير).

٩٦ تخفى النـون الساكنة والتنوين إذا وقع بعدها أحد حروف الإخفاء الخمسة عشر ولكنها تخفى إخفاءً خاصًّا عند حرفي القاف

والكاف حيث يتحتم على القارىء أن يرفع لسانه قليلاً عند هذين الحرفين ويلصقه بالحنك الأعلى.

٩٧ الكلمات «اؤتمن» «ائتوا» «ائتوني» إذا ابتدأ بها القارىء أصبح عنده همزتان ثانيتهما ساكنة والقاعدة في مثل هذه الحالة أن تبدل الهمزة الثانية حرف علة من جنس حركة الهمزة الأولى، فتقرأ ـ إذا ابتدىء بها ـ «أوتمن» «إيتوني» «إيتوا».. وهكذا.
حق التلاوة/ ٤٠.

٩٨ الحروف المقطعة التي تمد حركتين مجموعة في قولك «حي طهر» والتي تمد ست حركات مجموعة في قولك «نقص عسلكم» والضابط لمعرفة ذلك أن الحرف إذا كان منتهيًا بهمزة فيمد حركتين مثل حاء، طاء، هاء.. أما إذا لم ينته بهمزة فيمد ست حركات.

٩٩ الراء الساكنة المكسور ما قبلها إن جاء بعدها حرف استعلاء مضموم أو مفتوح فتفخم نحو (قرطاس) وإن جاء بعدها حرف استفال فترقق وإن جاء بعدها حرف استعلاء مكسور جاز الوجهان والترقيق أولىٰ نحو ﴿كل فرقٍ كالطود﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٦٣] وحروف الاستعلاء يجمعها قول: «خص ضغط قظ» وباقي الحروف حروف الاستفال.

سادسا: وقفات تربوية

«لست منهم في شيء»

١ قال الله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٥].

الوحدة الإسلامية وصية الله لعباده المؤمنين ووصية رسوله ﷺ في أحاديث كثيرة منها حديث أبي هريرة عند مسلم: **«إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم ثلاثًا قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»**.

والوحدة: مطلب ملحّ وضرورة قصوى ولا سيما في زماننا هذا، فالأمة فيه ممزقة الأشلاء وهي بأمس الحاجة إلى التحام الصف واتفاق الكلمة.

والوحدة: أنشودة يتغنى بها كل مسلم ويتطلع إليها كل ذي غيرة على الدين وأهله.

والوحدة المطلوبة: هي التي تجمع شتات أهل السنة والجماعة وتزيل كل فارق موهوم زرعه عدو أو تمسك به جاهل،

وتقوض كل اسم زائف يميِّز بعضهم عن بعض سواء أملته الحزبيةُ المقيتة أم سوّغه الهوى والولاءات الضيقة. فأهل السنة لا يعرفون إلا بأهل السنة ـ كما ذكر الإمام مالك ـ وليس لهم وطن أو لون خاص، بل هناك جملة من الصفات والخصائص ينتظمها منهج فريد في العقيدة والتلقي من التزم بها دخل في زمرة أهل السنة من غير إذن أحد من الناس.

وعلى هذه الجماعة الأم تُنزَّل نصوص النهي عن الفرقة والاختلاف حتى إذا انتظمت القلوب في سلك واحد فلا بأس بعد ذلك بالتخصص وسد الثغور فهذا يعلِّم وذاك يربي والآخر يعظ.. وكل بحسبه من غير تحاسد ولا تناحر ولا تراشق بالتهم.

أما أن يكون التفرق بين أهل السنة مبنيًّا على أهواء وشهوات من حب للرئاسة ووصول إلى مراكز التأثير ثم يؤصل هذا التفرق وينشأ عليه الجيل فذلك صريح ما تنهى عنه الآية وذلك من أعظم عوامل تأخير النصر وتبعثر الجهود.

وأخيراً فلا يسع إغفال نوع من الوحدة يروج له الأعداء والعملاء وربما انطلى على البسطاء من أهل الخير وذلكم هو التعددية التي تجمع في صفوفها العلماني والرافضي والصوفي وتنتظمهم في خندق واحد مميعة بذلك أهم قضايا الاعتقاد من الولاء والبراء والأخوة والدعوة ونحوها وذلك مالا يرتضيه عاقل بله داعية مخلص، وإذن فلا مناص من تمييز الصف وتنقيته من

الشوائب ﴿**فأما الزَّبد فيذهب جُفَاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٧] وعندها فلا يخترق الصف ولا يتخلخل بل يكون كالبنيان المرصوص.

زكـــــاة الاستقـــامـــــة

٢ قال الله تعـالى: ﴿**وإذ قالت أمـة منهم لم تعـظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٦٤].

الاستقامة نصابها العلم والبصيرة، وزكاتها الدعوة والموعظة ﴿**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤] ويتحملون ما يلاقون في سبيل تبليغهم دعوة ربهم، عدتهم الصبر وعتادهم اليقين بنصر الله وبلوغ أمره «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**».

والداعي إلى الله يحزن ويتحسر لمرأى جموع البشر تتخبط في دياجير الظلم فيبادر ليجعل من نفسه فتيلاً مشتعلاً في هذا الليل الأليل البهيم والـظلمـة المدلهمة راجيًا الأجر من الله أولاً وانتباه السادرين ويقظة النائمين ثانيًا ﴿**معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٦٥] وهو في عمله هذا لا يتفضل على الناس بل هو يقوم بواجبه مشفقًا عليهم ممن استحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله.

إن الدعوة إلى الله فن له رجاله الذين يتسللون إلى قلوب الناس ويأسرونهم بحسن سمتهم وخُلقهم ويعرِّفونهم بالله ويذكرونهم بأيامه وهم بذلك يعينونهم على أنفسهم وعلى الشيطان وليس العكس كما هو حال بعض المنتسبين إلى الدعوة، والدعاة يفرحون بإقبال الناس على الله ولا ييأسون من هدايتهم فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

إن الداعية الناجح هو الذي يسهل طريق الخير أمام الناس ويزيل عنهم العوائق الموهومة أمامه ويؤلف قلوبهم ويشعرهم بمحبة الخير لهم وبعده عن المصالح الشخصية مؤتسيًا بموكب الأنبياء ﴿**لا أسألكم عليه أجرًا إن أجري إلا على ربّ العالمين**﴾ ويفعل الأسباب الشرعية الموصلة إلى دلالة البشر على ربهم ويبقى بعد ذلك ما ليس له به يد من هداية التوفيق والإلهام الخاصة بالله تعالى، فإن النبي يأتي يوم القيامة ومعه الرهط والرهيط ويأتي النبي ومعه الرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد وهو نبي يوحى إليه ومع ذلك فلا يأس ولا قنوط فقد لبث نوح ـ عليه السلام ـ يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ﴿**وما آمن معه إلا قليل**﴾.

إن أخص خصائص الداعي بعد الإخلاص أن يوافق قوله فعله ﴿**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعتُ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾، قال الشافعي رحمه الله «من وعظ الناس بفعله كان هاديًا».

البـــاب المكســـور

٣ قال الله تعالى: ﴿**ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا**﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٠] التوبة باب مفتوح على مصراعيه بلٍ هو باب مكسور لا انغلاق له إلى قيام الساعة، يدخل منه المخلَطون فتصفو نفوسهم وتزكو قلوبهم ويصبحون من عباد الله المحبوبين ﴿**إن الله يحب التوابين**﴾.

ولـطالما وقفت أمام هذه الآية وعجبت من تودد الله الغني الحميد لعباده الناكثين ﴿**ومن نكث فإنما ينكث على نفسه**﴾ [سورة الفتح، الآية: ١٠] فمرة ـ كما في هذه الآية ـ يعرض عليهم الإنابة بأسلوب الشرط وجـزائـه المضمون. ومرة بأسلوب النداء بصفة العبودية المشعرة بفقر العباد إليه ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا**﴾ [سورة الزمر، الآية: ٥٣] ومـرة بصيغـة الأمر المباشر المترتب عليه الفلاح ﴿**وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون**﴾ [سورة النور، الآية: ٣١].

إنه الله الكريم، الرحيم الودود ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا نزولاً يليق به ـ سبحانه ـ فيتودد هل من داعٍ فأجيبه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ والناس في غفلة معرضون وفي لهوهم سادرون، فمن مثلك يا ابن

آدم: خير الله إليك نازل وشرك إليه صاعد، يستر عليك وتجاهر بمعصيته ويغدق عليك نعمه ظاهرة وباطنة وتستكبر عن عبادته ويناديك ليتوب عليك بل ليبدِّل سيئاتك حسنات وتصد أنت «كأنك أنت المنعم المتفضِّل» أرأيت جهلاً أعظم من هذا وحماقة أكبر من تلك **﴿والله يريد أن يتوبَ عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا﴾**.

إن التوبة النصوح منزلة عالية ومقام سامق يوفق الله إليه من شاء من عباده فرب ذنب عظيم أورث انكسارًا وخضوعًا بين يدي الله لا يناله المدل بعمله الصالح المستقيم على الصراط المستقيم ولرب حوبة أورثت توبة **«وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»**.

تب **ـ أيها المسلم ـ** قبل أن تبلغ الروح الحلقوم ولات حين متاب، تب واصدق في توبتك واصدق مع ربك، تب من الموبقات والمعاصي وخواطر السوء، ذر ظاهر الإثم وباطنه، واسأل الله التوفيق للثبات على الصراط السوي.

حقق شروط التوبة في توبتك ثم لا تكن كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا وهاك الشروط منظومة:

شروطُ توبتِهم إن شئتَ عدتها
ثلاثة عُرفت فاحفظ على مهلِ

إقــلاعُــه ندمٌ وعــزمُــه أبــدًا
أن لا يعــود لما فيــه جرى وقــلِ
إن كان توبــتُــه عن ظلم صاحــبــه
لابــد من ردةِ الحــقَّ على عجــلِ

أمـــــام المــــــلأ

٤ قال الله تعـالى: ﴿يـومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٨].

ذلك يوم العرض الأكبر يوم تسقط كل الأقنعة وتزول كل النياشين ويظهـر كل مخلوق على حقيقتـه، وهنالك يحصد أهل المراقبة الدائمة أينع الثمار وأزكاها، وفي الصباح يحمد القوم السرى أما المنافقون ومن قفا أثرهم فيحصدون شوكًا ويرعون هشيمًا:

ومـن زرع الحـبـوب ومــا سقــاهــا
تأوه نادمًــا يوم الحــصــاد

قال سيد قطب ـ رحمه الله ـ في ظلال هذه الآية العظيمة: «فـالكـل مكشـوف مكشـوف الجسـد مكشوف النفس مكشوف الضمـير مكشوف العمل مكشوف المصير، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار وتتعرى النفوس تعري الأجساد وتبرز الغيوب بروز الشهـود. . ويتجرد الإنسان من حيطته ومن مكره

ومن تدبيره ومن شعوره ويفتضح منه ما كان حريصًا على أن يستره حتى عن نفسه.

وما أقسى الفضيحة على الملأ وما أخزاها على عيون الجموع. أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها في كل آن، ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور وهو مخدوع بستور الأرض فها هو ذا يشعر به كاملاً وهو مجرد في يوم القيامة، وكل شيء بارز في الكون كله، الأرض مدكوكة مسواة لا تحجب شيئًا وراء نتوء ولا بروز، والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئًا، والأجسام معراة لا يسترها شيء والنفوس كذلك مكشوفة ليس من دونها ستر وليس فيها سر. ألا إنه لأمر عصيب. أعصب من دكّ الأرض والجبال وأشد من تشقق السماء وقوف الإنسان عريان الجسد عريان النفس عريان المشاعر عريان التاريخ عريان العمل ما ظهر منه وما استتر أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله من الإنس والجن والملائكة وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع.

وإن طبيعة الإنسان لمعقدة شديدة التعقيد، ففي نفسه منحنيات شتى ودروب تتخفى فيها نفسه وتتدسس بمشاعرها ونزواتها وهفواتها وخواطرها وأسرارها وخصوصياتها.. فكيف بهذا المخلوق وهو عريان عريان حقًا عريان الجسد والقلب والشعور والنية والضمير.. عريان من كل ساتر كيف به وهو كذلك تحت عرش الجبار وأما الحشد الزاخر بلا ستار؟ ألا إنه لأمر أمرّ من كل أمر».

أيها الأخ المسلم حاسب نفسك وراقب ربك قبل أن تكشف أوراقك وينشر غسيلك ﴿**وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآنٍ ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين**﴾ [سورة يونس، الآية: ٦١].

النكـــــــوص

٥ قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يعبد الله على حرف فإنْ أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين**﴾ [سورة الحج، الآية: ١١].

الالتزام بالدين ليس مرهونًا بتحقيق مصالح شخصية ورغبات ذاتية وليس مبنيًّا على شك أو شبهة بل هو تسليم تام لله تعالى وانقياد وخضوع لأمره وحكمه. كما أن الالتزام ليس اقتصارًا على تحقيق مراد الله في المظهر دون المخبر بل هو سيرٌ وفق مراد الله فيهما معًا وحكمٌ وتقويم لأنظمة الحياة بمقتضى شرعه.

فمن الناس من يساير أهل الخير مادام بخير ويجتهد في عبادته ودعوته حتى إذا ما استطال الطريق أو جابهته الفتنة أو أحس بالابتلاء أو احتيج إليه في كبريات المهمات أو تعرَّض لسبر وتمحيص رأيته يتلكأ وينكص وربما تبرأ من إخوانه فحاله كما قيل:

ومـن الـنـاس من يحبـك حبًّـا
ظاهـر الحـب ليس بالـتـقـصـيرِ
فإذا ما سألـتـه ربـع فلس
ألحـق الحـبّ بالـسـمـيـع الـبـصـير

ومنهم من يعبد الله ظاهرًا وباطنه وبيء فهو على شفا جرف هار يوشك أن يقع به في هوة سحيقة مالها من قرار، وشواهد ذلك كثيرة، كفر بعد إسلام، وضلال بعد هدى، وفسق بعد صلاح، ومـردّ ذلـك إلى نفسـك ﴿**ومـا أصـابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٠] وأي مصيبة أعظم من الحور بعد الكور؟

إنها سنة كونية ماضية فـ﴿**إن الله لا يهدي من يضل**﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٧] ولو كان نحريرًا عالمًا ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آيـاتنـا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**﴾ [سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٥، ١٧٦] وليس طريق الالتـزام مفـروشًـا بالرياحين وإنما هو محفوف بالأشواك كما جاء ذلك صريحًا في حديث «**وحجبت الجنة بالمكاره**».

وسئـل الإمـام أحمد: متى الراحة؟ فقال: عند أول قدم تضعها في الجنة. أما قبل ذلك فكدح ونصب وكدٌّ وتعب وأعباء ثقيلة

على النفس بفطرتها ويظل الملتزم يروض نفسه ويوطنها على تلك الأعباء حتى تكون راحته فيها وغاية طمأنينته بفعلها كما قال بعض السلف «جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة فانقادت لي بقية عمري».

إن ظاهرة الانحراف ظاهرة مؤرقة مزعجة ولعل دواءها برد اليقين واستعمال القناعة فيما يأتي المرء أو يذر والثبات على المبادىء واطراح المسايرة والمجانسة والمشاكلة والمؤانسة والتعلق بغير الله فإن هذه المظاهر وإن بدت جميلة فهي عرض لا جوهر وهي من ثمار الالتزام وليست أصله فمن جعلها أصلاً لالتزامه ذهب التزامه بذهابها وهذا ما يحصل لكثير من الناس «ومن تعلق شيئًا سوى الله عذب به» كما قرر ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

«آفـــة التعــالـــــم»

٦ قال الله تعـالى ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً**﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٣٦].

العلم شرف ورفعة ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**﴾ وإذا أطلق العلم فإنه يتجه إلى العلم الشرعي المقرب إلى الله تعالى، ويكفي هذ االعلم شرفًا أن يتلبس به أدعياء العلم وينتحله أرباب الجهالة و«**المتشبع بما لم يعط**

كلابس ثوبي زور». وإن من المؤسف حقًّا أن نصابَ بردة فعل عنيفة من واقع الكهنوت فنجعل الكلام في دين الله والتوقيع عنه في أحكامه كلأً مباحًا لكل أحد.

إن الكلام في مسألة شرعية حكرٌ على من أوتي علمًا فيها **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** وليس هذا ببدعٍ من القول فإن الكلام في الطب حكر على من أوتي علمًا به والكلامُ في مسألة فلكية لا يسوغ إلا ممن أوتي علمًا بها، بل حتى الكلام في مواسم الزرع أو ميكانيكا السيارات لا يقبل إلا من عالم به! أفيكون القول في دين الله حقًّا مشاعًا للعالم والجاهل بدعوى أن لا كهنوت ولا رهبانية في الإسلام؟

إن العالم الشرعي هو أولى من يُسأل في أمور الشريعة وهو المخول لمقام الإفتاء وهو المسؤول أيضًا عن القواعد المؤطرة للعلوم الأخرى والأنظمة الحياتية والأوضاع المستحدثة وكل ذلك يجب أن يكون بدليله الشرعي بعيدًا عن التعصب المذهبي أو العرف القائم، ولا يُعهد عن العالم الشرعي أن يقحم نفسه في تفريعات العلوم الأخرى كالفلك والطب ونحوها إلا إذا كان عالمًا بها، لأنه قد يجني على الإسلام من حيث لا يشعر، ولا يُعهد عنه أيضًا المبادرة بتصديق أو تكذيب النظريات الحديثة بغير مستند شرعي فإن ذلك من قفو ماليس للمرء به علم. إن من علم علمًا صحيحًا في مسألة ما فلا عليه أن يتكلم ويقول بها في حدود ما علم ولو لم

يكن مختصًا وذلك يسري حتى على المسائل الشرعية فإن المنهي عنه القول بلا علم وقد يخطىء مختصّ ويصيب غيره، وقد كان السلف يقولون في الإفتاء والتفسير ونحوه بما يعلمون مع شدة تورعهم عما لا يعلمون واحتياطهم لأنفسهم. قال ابن عطية وكان جلة من السلف كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعًا واحتياطًا لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم. وقال أبوبكر بن الأنباري: «وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن».

قال شيخ الإسلام: «وكل ذلك محمول على من لا علم عنده، أما من كان عنده علم فلا يكتمه الناس».

الخطـــوة الأولـــــى

٧ قال الله تعالى: ﴿**ولقد همت به، وهم بها لولا أن رأى برهان ربِّه كذلك لنصرف عنه السوءَ والفحشاءَ إنه من عبادنا المخلصين**﴾ [سورة يوسف، الآية: ٢٤].

الفتوة والغربة والجمال والإغراء عوامل مؤثرة في إجابة داعي الفتنة والفشل في مثل هذا الابتلاء، لكنها قوة الإيمان والاستعصام بحبل الله المتين ﴿**ولقد راودته عن نفسِه فاستعصم**﴾، فمع قوة الداعي يقف يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ كالطود الشامخ ييأس منه السوء وتقنط الفحشاء فيرجعان القهقرى إذْ هما اللذان

قدما إليه فصرفهما الله عنه فكان التعبير ﴿**لنصرف عنه السوء والفحشاء**﴾ ولم يكن «لنصرفه عن السوء والفحشاء» فلم يبحث الصديق عن السوء والفحشاء في مظانهما كما يروق لكثير من ضعاف الإيمان الذين يترقبون مواطن الزلل ومظانَّ الفتنة حتى إذا ما أُشربت قلوبهم حبّ الرذيلة صعب عليهم فكاك أنفسهم من أسر الشهوة وعندها يتنازلون عن كل مبدأ يحول بينهم وبين ما يشتهون فنقضوا بذلك عرى الدين وقيمه عروة عروة وقيمة قيمة وتجردوا منها شيئًا فشيئًا حتى تردوا إلى مرتبة الحيوان نازعين جلباب الإنسانية الشريف المكرم.

إن يوسف ـ عليه السلام ـ كان يعتلج في نفسه ما يعتلج في نفس كل بشر أمام هذه المواقف لكنه قارن بين محبوب الله وبين محبوب نفسه فقدم محبوب الله وصدق في اللجأ إليه فعصمه، وهكذا فكلما قدم المرء محبوب الله على محبوب نفسه ارتقى إلى مرتبة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، وكلما قدم محبوب نفسه على محبوب الله كلما انحطّ إلى مرتبة الحيوان وبئست المرتبة.

إنما كانت الأسواق أبغض البقاع إلى الله لأنها مظنة الفتنة ـ وهو الواقع اليوم ـ وإن كثيرًا من الناس ـ وربما كان بعضهم من الصالحين ـ لا يعصمون أنفسهم عن مواطن الفتنة فهم بين سفر للخارج وارتياد للأسواق ومطالعة في الصور وسماع لبريد الزنى وهم فوق ذلك كله يريدون سلامة قلوبهم وإقبالها على الله. أي قلب

هذا؟ فإنك لا تجني من الشوك العنب:

ألقاه في اليمِّ مكتوفًا وقال له
إياك إياك أن تبتلَّ بالماء!

بل ربما صيغت الفتنة وطرأت في قالب الإصلاح، فالحكيم من إذا رأى من نفسه ضعفًا أو استكانة لداعي الهوى ربأ بها عن موطن الفتنة ولو كان معلمًا للقرآن، فتعليم القرآن من جلائل الأعمال «**خيركم من تعلم القرآن وعمله**» ولكنه إذا أضحى ذريعة للفساد لعَلَمٍ معينً فإن الواجب في حقه سد هذه الذريعة، وليس ها هنا قاعدة لكل أحد وإنما الحكم بحسب الحال فإياك والخطوة الأولى.

«إذا عظم المطلوب»

٨ قال الله تعالى: ﴿**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**﴾ [سورة مريم، الآية: ١٢].

«**الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة**» ـ كما ثبت في الحديث عند البخاري في صحيحه ـ إنها شدة العزيمة وقوة الشكيمة فبها يتفاضل الناس وعليها مدار تحقق مطالبهم ونوال غاياتهم:

والناس ألف منهم كواحدٍ
وواحد كالألف إن أمر عنى

ولا يتصور نيل المآرب وتحقق المطامح من رجل ضعيف العزيمة هش الإرادة إلا ما كان من توفيق صرف لأنه كما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجني عليه اجتهاده

لكن المسببات منوطة بأسبابها، ونيل المآرب سبيله الحزم مع النفس وأطرها على تجشم متاعب الطريق، وإذا كان ذلك واضحًا جليًّا في المطالب الدنيوية من الحصول على وظيفة أو تجارة أو مكانة فهو في المطالب الأخروية أحرى وأجدر «**ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**».

إنه كلما عظم المطلوب هان الثمن مهما كان باهظًا كما قرر أبوفراس:

تهون علينا في المعالي نفوسنا
ومن يخطب الحسناءَ لم يغلها المهر

وهكذا فإن أمر الدين وهو المسعى لأشرف المقاصد يتطلب تضحيات جلّى يبذل فيها النفس والنفيس ولا يكون ذلك إلا بعزم وحزم وجَلَد ومثابرة، وذلك مالا يقدر عليه إلا أولو العزم أصحاب الهمم: «وهموم المرء يبعثن الهمم».

ألست ترى أن من رام النجاح في الامتحان أفنى ساعات ليله ونهاره في تكبد مشاق المذاكرة فهمًا وحفظًا.

إن صدق الأمل أورث جدية العمل، وأما الأماني المجردة

فهي رأس مال المفاليس وتجارة البطالين.

والعجب ـ كل العجب ـ من أمر الناس اليوم وكيف تحمَّلوا ما يحتمـل ومالا يحتمل في سبيل تحقيق متاع زائل وتجارة مؤقتة، وتركوا التجارة التي لن تبور ـ التجارة مع الله ـ التي سلعتها الجنة وثمنها بل سببها ـ لأنها لا عوض ولا مقابل لها ـ هو العمل الصالح الخـالص ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عمـلاً﴾، وأكثر الناس أعظم الخطبة وأساء النقد:

يا سلعــة الــرحمـن لسـت رخيـصــة
بل أنــت غالــيــة على الــكــســلان
يا سلعــة الــرحمـــن ليس ينــالهــا
في الألــف إلا واحــد لا اثــنــان
يا سلعــة الــرحمــن كيــف تصــدر الـ
خطاب عنــكِ وهـــم ذوو إيـــمان؟

فهل من مشترٍ؟ ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسَهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾.

صـــورتـــــان

[٩] قال الله تعالى: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهـد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحبُّ الفساد وإذا**

قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾
[سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤-٢٠٧].

إنهما صورتان متقابلتان. . صورة المنافق عليم اللسان الذي لا يفتأ يتحدث ويحاضر ويكتب ويحرر وربما ينصح، فيعجبك قوله حينما تستمع إليه عبر الأثير أو تقرأه في أعمدة الصحف أو تراه على الشاشة لأن ظاهر كلامه الخير والإصلاح وباطنه شر محض، إفساد للأرض وإهلاك للحرث والنسل **﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾** [سورة المنافقون، الآية: ٤]، يخدع فئام الناس بمعسول كلامه وسحر بيانه فهو - في الظاهر - حريص جد حريص على التحام الصف ووحدة الأمة، وهو ثانيًا حريص على نهضة الوطن وازدهاره وهو ثالثًا حريص على إرساء قواعد الدين في المجتمع وعدم تمييع ثوابته وأحكامه، وكل ذلك في ظاهر الأمر، أما في الحقيقة فوراء الأكمة ما وراءها. . فهو يلبس مسوح الضأن ويسكب دموع التماسيح، يركب زخرف القول وبهرجه ليلبِّس على الدهماء ولكن:

ومهما تكن عند امرىء من خليقةٍ
وإن خالها تخفى على الناس تعلمِ

والعبرة بعلم الله تعالى بها لا بعلم الناس **﴿ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخِصَام﴾** فكم تعقد له المناظرات فيكون بحجته ألحن فيمتطي ذلك مع ما أتيح له من تمكين ليفسد في

الأرض والله لا يحبّ المفسدين، والله لا يصلح عمل المفسدين، ويلبس الحق بالباطل بدءًا باسمه وطائفته وانتهاءً بمعتقده، فهذه الطائفة من الناس هم شر على الأمة من أعدائها المجاهرين وقانا الله شرهم.

والصورة المقابلة لتلك صورة عكسية تمامًا هي صورة المؤمن المجاهد الذي امتطى صهوة عزيمته واستعان بربه ليدرك مرضاته فحقق شرف المسعى ونبل المطلب وحمل روحه بين كفيه وباعها لله والله اشترى.

ولم يقتصر على هذا الميدان الرحب، ففي كل ميدان خير له صولة وجولة و«في كل واد بنو سعد»، يروض نفسه ويوطنها لكي تسعد بمرضاة الله ولذة النظر إلى وجهه، هيّأ نفسه واستعذب الأجاج واستحلى العلقم:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

إنه بون شاسع بين صورتين ونيتين وعملين أيها الأخ المسلم:

قد هيئوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

أسلـــــوب الـدعــــــوة

١٠ قال الله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًّا إذ قال لأبيه يا أبتِ لم تعبدُ مالا يسمعُ ولا يبصر ولا يغني عنك شيئًـا يا أبتِ إني قد جاءني من العلمِ ما لم يأتك فاتبعني أهدِك صراطًـا سويًّا يا أبت لا تعبد الشيطانَ إن الشيطان كان للرحمن عصيًّـا يا أبتِ إني أخـافُ أن يمسَّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا﴾ [سورة مريم، الآيات: ٤١-٤٥].

الدعوة إلى الله زكاة واجبة حملها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم سادة الـدعـاة إلى أهل الكفر والضلال، سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وانظر وأنعم النظر في هذه الآيات يلح لك كيف توخى إبراهيم ـ عليه السلام ـ أرقى أساليب الأدب والحكمة لدعوة أبية بعيدًا عن التفضل والمنة بعيدًا عن الاحتقار والازدراء بعيدًا عن الشدة والغلظة كما أوصى الله نبيه موسى ـ عليه السلام ـ حين أرسله لدعوة فرعون ﴿فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى﴾ [سورة طه، الآية: ٤٤] نعم، كمن يريد أن يتملق أو يتزلف لكن ليعمر قلبًا خاويًا بالإيمان ويهديه إلى صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض الغني عن العالمين وذلك منبعه الإشفاق والرحمة ومصدره القيام بواجب الدعوة والتبليغ . .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ مستقياً من معين هذه الآيات: «ابتدأ

إبـراهيم خطابه بذكر أبوته الدالة على توقيره ولم يسمه باسمه ثم أخرج الكلام معه مخرجِ السؤال فقال: ﴿**لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئـا**﴾ ولم يقل: لا تعبد، ثم قال: ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم مالم يأتك**﴾. فلم يقل له إنك جاهل لا علم عندك بل عدل عن هذه العبارة إلى ألطف عبارة تدل على هذا المعنى فقال: ﴿**جاءني من العلم مالم يأتك**﴾. ثم قال: ﴿**فاتبعني اهدك صراطًا سويًّا**﴾ وهذا مثل قول موسى لفرعون ﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ ثم قال: ﴿**يا أبت إني أخاف أن يمسَّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليًّا**﴾ فنسب الخوف إلى نفسه دون أبيه كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه، وقال: «يمسَّك» فذكر لفظ المسّ الذي هو ألطف من غيره ثم نكَّر العذاب ثم ذكر «الرحمن» ولم يقل «الجبار» ولا «القهار» فأي خطاب ألطف وألين من هذا؟ . »

ومع ذلك كله كان الردّ قاسيًا شديدًا ﴿**لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليًّا**﴾ ويجيء جواب إبراهيم تلين له الحجارة لأنه لم يكن يدعو لحظ نفسه ولذا فلا يثأر ولا ينتقم لها بل يستلذّ الأذى في سبيل دعوته إلى الله:

ومـن تكـن الـعـليـاء همة نفسـه
فكـل الـذي يلقـاه فيـهـا محبـب

﴿**قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا**﴾.

«فقد آذنته بالحرب»

١١ قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون**﴾ [سورة البقرة، الآيتان: ٢٧٨، ٢٧٩].

الربا كبيرة من الكبائر ذُكر هنا بعد ذكر فضيلة الإنفاق والحثّ عليها ولم تذكر كبيرة بتهديد أو تشنيع أكبر من هذا التهديد والتشنيع، إنها الحرب مع الله، ومن أنت يا ابن آدم حتى تحارب ربك؟ ألم تك نطفة من مني يمنى؟ ألم تخلق من ضعف وتؤول إلى ضعف؟ إذن فما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك؟ إن الربا جريرة كبرى في حق المجتمع المسلم وظلم لذوي الفاقة من أبنائه وإنه معلم بارز في انهيار اقتصاده ﴿**يمحق الله الربا**﴾.

ومع رضى المسلمين بحكم ربهم وقناعتهم بخطورة الربا إلا أن منهم من يقارفه علانية، بل يتباهى بالربا أصحابه ويضفون عليه من الأسماء المضللة مالا يخرجه عن أصله تابعين بذلك الأنظمة الكافرة المفلسة فهم ورقة في مهبِّ الريح «إذا الريح مالت مال حيث تميل».

إن سياسة المال في الإسلام ينتظمها ركنان: كيفية تحصيل

المال وكيفية إنفاقه وعن هذين الركنين يُسأل المرء يوم القيامة «**عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟**» وكلا الأمرين نظمه الإسلام وجعل له ضوابط فقال الله في الإنفاق: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا**﴾ فهو وسط بين طرفين، وقال في بيع ما يكال ﴿**أوفوا الكيل إذا كلتم**﴾ . إن النظام الربوي ليس بشعًا ومعيبًا من الناحية الشرعية فحسب بل هو أيضا فاشل من الناحية الاقتصادية البحتة باعتراف أساتذة الاقتصاد أنفسهم. . نقل سيد قطب ـ رحمه الله ـ عن الدكتور «شاخت» الألماني مدير بنك الرايخ سابقًا قوله: إنه بعملية رياضية غير متناهية يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جدًا من المرابين.

ولسنا ـ في الواقع ـ بحاجة إلى مثل هذه الشهادة بعد قول الله تعالى لكن نسوقها للناس للاستئناس وليعلموا تأويله.

إن الربا مرتبط بقيم الناس وأخلاقهم فمن قارفه فقد ظلم إخوانه المعوزين وسلبهم حقوقهم وتخيّر مبارزة ربه بالمحاربة بالربا وعزف عن الربح الحلال بالبيع والشراء ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾ وكفى بذلك خذلانًا ومقتًا.

الخاتمة

وختامًا، فإني أسأل الله تعالى أن تكون ـ أخي القارىء ـ قد انتفعت بما قرأت، وشاقتك هذه الفوائد إلى مزيد من فرائد هذا الكنز المدخر من الجواهر والدرر، فأحيلك إلى كتب التفسير ولا سيما جامع البيان لشيخ المفسرين ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ أو من سار على نهجه كتفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، ثم عرِّج على البحر الزخار «الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبدالله القرطبي المالكي ففيه خير كثير وإن زل في باب الأسماء والصفات فتجنب زلته وعُبَّ منه فإنه يأتي إلى الآية ويذكر ما فيها من مسائل فقهية ونحوية وبلاغية وغيرها، وأذكر أنه حين وصل إلى آية الدين، قال: فيها ثنتان وخمسون مسألة ثم سردها.

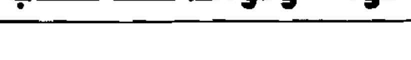
ومع ذلك كله فلا تنس نصيبك من التدبر والتفكر في آيات الكتاب العزيز فربما لاح لك مالم يلح لغيرك، وقد سمعت الشيخ عبدالرحمن الدوسري ـ رحمه الله ـ يقول ما فحواه: إنه ليفتح عليّ من الفوائد في فهم الآية فأكتبه فإذا قرىء علي بعد زمن لم أعلم أن تلك الفوائد مما كتبتُ بل أظنها لغيري.

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ شارحًا حديث البخاري ـ رحمه الله ـ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»: أفيلزم من هذا الحديث أن يكون المقرئ أفضل من الفقيه؟ (أي الذي يفقه معاني القرآن). قلنا: لا، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء النفوس، لأنهم كانوا أهل اللسان فكانوا يدرون معاني القرآن بالسليقة أكثر مما يدريها من بعدهم بالاكتساب، فكان الفقه سجية لهم، فمن كان في مثل شأنهم شاركهم في ذلك، لا من كان قارئًا أو مقرئًا محضًا لا يفهم شيئًا من معاني ما يقرؤه أو يقرئه[١].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكتبه
عبدالله بن محمد الجوعي
الرياض
ص.ب ٣٢٥٩٤ ر.ب ١١٤٣٨

(١) شرح السنة، ٤/٤٢٧.



قائمـــة المراجـــع

(١) جامع البيان — الطبري
(٢) تفسير القرآن العظيم — ابن كثير
(٣) الجامع لأحكام القرآن — القرطبي
(٤) فتح القدير — الشوكاني
(٥) أضواء البيان — الشنقيطي
(٦) تيسير الكريم المنان — السعدي
(٧) في ظلال القرآن — سيد قطب
(٨) روح المعاني — الألوسي
(٩) معترك الأقران — السيوطي
(١٠) إعراب القرآن — النحاس
(١١) الفتاوى — شيخ الإسلام
(١٢) المدخل لعلم التفسير — الحدادي
(١٣) فتح الرحمن — الأنصاري
(١٤) إصلاح الوجوه والنظائر — الدامغاني
(١٥) التفسير القيم — ابن القيم
(١٦) الرسالة التبوكية — ابن القيم
(١٧) الرعاية — مكي بن أبي طالب
(١٨) البرهان — الزركشي
(١٩) الإتقان — السيوطي

الكتاب	المؤلف
(٢٠) كشف المعاني	ابن جماعة
(٢١) غرائب آي التنزيل	الرازي
(٢٢) فوائد في مشكل القرآن	العز بن عبدالسلام
(٢٣) الاقتباس من القرآن	الثعالبي
(٢٤) ملاك التأويل	الغرناطي
(٢٥) الأشباه والنظائر	السيوطي
(٢٦) فوائد قرآنية	السعدي
(٢٧) التسهيل	علي هنداوي
(٢٨) القواعد الحسان	السعدي
(٢٩) البرهان في متشابه القرآن	الكرماني
(٣٠) قواعد التدبر الأمثل	الميداني
(٣١) حق التلاوة	حسني عثمان
(٣٢) التفسير والمفسرون	الذهبي
(٣٣) بدائع الفوائد	ابن القيم
(٣٤) أصول في التفسير	ابن عثيمين
(٣٥) البيـــان	ابن الأنباري
(٣٦) التذكـــرة	القرطبي
(٣٧) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري	الغنيمان
(٣٨) شرح العقيدة الطحاوية	ابن أبي العز
(٣٩) الإفادات والإنشادات	الشاطبي
(٤٠) معارج الصعود	الشنقيطي

المحتــــوى

الصف والإخراج: مركز خدمة المؤلف ت: ٤٦٢٠٦٩١


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



هذا الكتاب

لقد شاع بين كثير من المسلمين اليوم تهميش دور القرآن الكريم، وقصر هذا الدور على التلاوة المجردة عن العمل والتدبر.

وإن ذلك الدستور العظيم الذي عليه مدار سعادة الأمة في الدنيا والآخرة لم ينزَّل لتزخرف به الجدر ولا لتفتتح به المنتديات بل إنه ﴿كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته﴾ ويستخرجوا كنوزه ويعملوا بمقتضاه ويحكموه في نظم حياتهم.

إن حال أكثرنا مع القرآن حال مؤسفة لا نحسد عليها فقد هجرناه شتى صنوف الهجر وألوانه ولا سيما هجر تدبره وتأمله وتفهمه والغوص لالتقاط درره ومطاردة شوارده، وهذا الواجب تجاه الكتاب العزيز كأنما طارت به العنقاء فأضحى «أندر من سنِّ الطير» - كما يقال -.

والكتاب الذي بين يديك جمع لبعض ما تفرق في كتب أئمة هذا الشأن من لطائف والتماسات، واستقراء لقواعد سطروها في ثنايا ما كتبوا، أردته حافزًا للتدبر وشائقًا للاطلاع، ورغم أن عامة آيات الكتاب العزيز بيِّنة واضحة ميسرة ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدَّكر﴾ يقرؤها المسلم العامي فيرغب ويرهب وينفذ ويزدجر ويدرك مدلولها، إلا أن طالب العلم عليه أن يبحث عن دقائق التفسير وخباياه مع عدم القطع بأن مراد الله تعالى هو ما ذهب إليه هذا العالم أو ذاك إلا ما قام عليه الدليل وإن لم يتبيَّن له شيء في الآية آمن بها على مراد الله ولو لم يعرف هذا المراد ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾.

عبدالله الجوعي

ردمك ١ - ١٢ - ٦٩٠ - ٩٩٦٠